الباب الأول

الديانات والفلسفات القديمة التي تأثر بها التشيع

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

ديانة وادي الرافدين

ترجع ديانة وادي الرافدين لما قبل الألف الرابع قبل الميلاد، ويقصد بهم السومريون والأكاديون في جنوب العراق، والبابليون في وسط العراق، والآشوريون في وسط العراق وشماله، وتتفق هذه الديانات في العقائد الآتية:

١. تعدد الآلهة

تتعدد آلهتهم، وتتعدد أسماؤها، وآلهتهم مرتبطة بما على الأرض من نبات أو حيوان أو جريان أنهار، وعقائدهم مرتبطة بالظواهر الطبيعية، خاصة الشمس والزهرة (عشتار) وبقية الكواكب، وترتبط بالأمطار، وما يرافقها من رياح ورعد وبرق، فهذه الظواهر والموجودات التي ذكرناها لها آلهة تسمّت بأسماء على اختلاف بين تلك الديانات.

وكان السومريون يتصورون أن السماء والأرض ملتصقتان، ويحيط بهما بحر عظيم، ويمثل التصاقهما التصاق الذكر بالأنثى، فالإله (آن) يمثل السماء، والإله (كي) يمثل الأرض، فأنتج (إنليل) روح الهواء، فرفع إنليل أباه (السماء) عن الأرض، وحط بأمه (الأرض) إلى الأسفل، واختلطت بهما روحه، فظهرت الآلهة، وبدأ يخلق النبات والحيوان والنَّاس، فالناس لم يخلقوا إلا لعبادة هذه الآلهة، والآلهة هذه من وظيفتها تعذيب الأشرار في حياتهم، ولا ينتفي الشر إلا عن طريق السحر، وأما الأخيار فإن الآلهة تسعد حياتهم، وبظهور الدولة البابلية التي وحدت سومر، وظهور الملك حمورابي، اعتقد البابليون بتعدد أكثر من الآلهة، لكنهم اعتقدوا بوجود إله أعظم من بين الآلهة، والإله مردوخ عندهم هو خالق الكون بما فيه من كواكب ونبات وحيوان وبشر، فاختار بابل مدينة مقدسة، وعبدالبابليون عشتار (الزهرة) بوصفها أمًّا للإله الأعظم، فهم لم يؤمنوا بالإله الواحد، وإنما آمنوا بتعدد الآلهة، وصراع قوى تلك الآلهة بين بعضها، وبينها وبين الإنسان من

جهة أخرى؛ فالسومريون يعتقدون بتعدد الآلهة، ولكن كبير الآلهة يختار وكيلًا عنه يسمى (إيشاكو)، وظيفته رعاية الناس، وتولي أعمال الكهانة، وذلك بصفة رجل دين (كاهن)، وهنا يوصف بصفة إلهية نتيجة التوكيل، فالإله الأعظم (شمش) أوكل بنشر شرائعه إلى الإله (أور)، فأضحى لكل مدينة أو إقليم إله مدبر، يتلقى أوامره من الإله الأعظم، ومن أمثلة ذلك ما جاء ترجمته في النص الآشوري، من أن الملك حمورابي تسلم شريعته من إله الشمس، وعند الآشوريين تعدد الآلهة أيضًا، وطبعت بطابع حربي؛ لكثرة الحروب التي خاضها الآشوريون من حولهم، فالإله آشور هو إله الحرب المدافع عنهم.

وعدُّوا زوجته الآلهة عشتار محاربة لأعدائهم، وهناك آلهة أخرى عندهم، وهي: (أدد- نابور- مرجال- نسكو)، فعبدوا جميع هذه الآلهة، ووصفوها بأقدس الأوصاف، واعتبروها القوة المسيطرة في الكون، وخاصة الإله (آشور) الذي يُرمز له بصورة قرص شمس مجنح، وتحته صورة نحلة رمزًا للحياة.

ومن المحتمل أن تكون فكرة تفويض الخالق للإمام عليٍّ رضي الله عنه بتدبير الكون عند بعض الشيعة أثرًا من هذه الديانة، كما سنفصل لاحقًا.

٢. بناء المعابد

بنى قدماء سكنة وادي الرافدين معابد للآلهة التي يعبدونها، فكانوا يزورون هذه المعابد ويحجون إليها، ومن أمثلتها معبد الإله عشتار القائمة بوابته في بابل حتى اليوم، وللمعبد خدم وخادمات، وقد ورد في النص الآشوري: أن رفض خادمة المعبد النوم مع المتعبد يغضب الإله عشتار[١].

وغني عن البيان: أن الشيعة لهم عناية كبيرة بقبور أوليائهم و زيارتها، و بناء المعابد عليها.

(١) محسن عبدالصاحب المظفر: جغرافية المعتقدات والديانات، ط٢، (ص ١٤٧)، وما بعدها، دار صفاء للنشر، عمان ٢٠١٤.

٣. الكهنة ورجال الدين

لمعابد هذه الديانات رجال دين يسكنون حولها أو داخلها، ويقومون على التعريف بكيفية العبادة والصلاة في المعبد وتقديم القرابين، وقد ورد في النص: أن الآلهة تحب لحم الضأن عوضًا عن لحم البشر، حيث تنازلت الآلهة، واستعاضت بلحم الضأن عن لحم البشر، وتقديم قرابين أخرى، مما تيسر من طعام: كالتمر والخبز واللبن، فيتسلمه رجال الدين، ويعد أهم مصدر لرزقهم، فأضحى كهنة المعابد من أغنى الطبقات[١].

وسنوضح لاحقًا موقع رجال الدين وتقديسهم عند الشيعة.

٤. العالم السفلي

يعتقد السومريون بوجود أرواح في الهواء ووجود ملائكة، وهذه الأرواح منها شريرة ومنها خيرة، ولها القدرة على تقمص جسم الآدمي وروحه، ويعتقدون برجعة الأموات، ولهذا فهم يضعون في قبور موتاهم بعض الشراب والطعام، وهو الاعتقاد نفسه عند قدماء المصريين، فيعتقدون بأن الطعام والشراب يفيد الميت عند رجعته إلى العالم السفلي المظلم، فهم لا يعتقدون بوجود جنة ولا نار. ويعتقد البابليون بأن الناس عند موتهم يذهبون إلى مكان مظلم أبد الدهر؛ ولذا يضعون مع موتاهم الطعام والشراب على أمل عودتهم من هذا الظلام، ولا يعتقدون بعقاب أو ثواب في الآخرة، إنما هو في الدنيا فقط. وفكرة الرجعة عند الشيعة لها علاقة بهذا الفكر، كما نشير إلى أن بعضًا من الفرق المارقة لا تؤمن بجنة ولا نار ولا حساب في الآخرة، كما سنعالج ذلك في موضعه[٢].

٥. عبادة الظواهر الطبيعية

في معابدهم يعبد السومريون آلهة تمثل الظواهر الطبيعية، فهناك آلهة الشمس، وآلهة القمر، وآلهة لكل كوكب يعتقدون فيه أنه هو المحرك والنافع والضار، ويعتقدون بآلهة لفيضان مياه الأنهار؛ لأنها تتكرر في كل سنة (في الشهر الخامس) من السنة الميلادية[٣].

---

(١) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص ١٥١- ١٥٥- ١٥٦- ١٥٠- ١٥٨- ١٥٧).

(٢) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق.

(٣) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص ٢٥١).

ولأنهم يمتهنون الزراعة والصيد، فهم أيضًا يعبدون آلهة الزرع، لكي يجود الحصاد وخاصة ثمار النخيل، والشيعة لا يعقدون عقودًا خاصة للزواج في أوقات النحس المتعلقة عندهم بالبروج: كبرج العقرب. ولا عند الريح الصفراء، وقد يتعدى ذلك إلى أول الشهر ومنتصفه وآخره، كما سنرى ذلك في موضعه.

٦. الإيمان بالمعجزات والخرافات (الثيولوجيا)

في مثل هذا المجتمع الزراعي الرعوي الذي يعتمدون فيه أيضًا على صيد السمك في الأنهار تدور رغباتهم، وتتشكل على شكل معجزات وخرافات، فمثلًا: يذكر عند السومريين أن راعي الغنم (أتانا) أصاب غنمه العقم، فركب ظهر نسر وطار به إلى السماء، باحثًا عن عشب أصل الحياة، ليداوي به مرض أغنامه، فلما اقترب من عشب الحياة سقط (أتانا) على الأرض.

ومن أساطيرهم المشهورة أسطورة الفردوس، حيث كان زوجان في دلمون أمَرتهم الآلهة (نينجر ساج) بأن لا يأكلوا من نبات معين، كي لا يخرج من الفردوس، وأسطورة أخرى حول صياد سمك يبدو أنه لم يفز بصيد، فغضب غضبًا انكسرت له أجنحة آلهة الرياح، فقلبت قاربه في الماء، فاستدعاه إله السماء في عرشه، وسأله عما حدث، فعفا عنه، فقدم له خبز الحياة وماءها، فرفض أن يأكل لشدة عسره، فضيع على نفسه وعلى بني البشر الخلود في الحياة.

ومن المعجزات عند الأكاديين: أن الملك سرجون كان في الأصل طفلًا من امرأة، كانت تخدم في المعبد، فلما ولدته وضعته في سلة ورمته في نهر الفرات، فالتقطه أحد المزارعين، وبرعايةً من الآلهة عشتار وحبها صار فيما بعد (شروكي)، أي الملك الصادق، ويرى الأكاديون أن البشر خلقتهم الآلهة من طين، من أجل أن يعبدوها ويقدموا القرابين لها.

والأكاديون يعتقدون أن خلق الكون بدأ من عمل الآلهة (إيسو) و(تيامات) كما ورد في أسطورة الطوفان المشهورة، فالعالم منقسم إلى سماء وهواء وأرض وبحار، فالسماء

يسيطر عليها الإله (أدوم)، والهواء والأرض يسيطر عليها الإله (أنليل)، والبحار يسيطر عليها الإله (أنكي).

ومن أساطير البابليين قصة الطوفان، حيث اعتقدوا أن الإله قد غضب على الكائنات فأراد أن يمحوها، فأرسل عليها طوفانًا من الماء، ولكن (كسيثورس) تجلى له الإله، فقال له: اصنع لنفسك فلكًا، وضع فيها من كل زوجين اثنين. فسار بالفلك إلى أن رست على جبل أرارات، فصعد (كسيثورس) إلى السماء وفاز بالخلود، ومن الأساطير البابلية: أن عشتار تزوجت من الإله (تموز)، فقتل تموز بسبب ذلك، فحزنت عشتار فأبت إلا النزول للعالم السفلي، لترى تموز، فاستجابت لرغبتها آلهة السماء، فكانت نتيجة ذلك أن جفت الأرض، وتوقفت الحياة والنسل، فقامت آلهة السماء بإرجاع عشتار وتموز إلى الحياة، وعادت الأرض بالنبات، ففرح البشر، ولذا فالبابليون يحزنون بمناسبة وفاة تموز، فيذهبون إلى معبد بابل في هذا الموعد كل سنة يلقون بأحزانهم بصور شتى. ويروي الآشوريون أسطورة الطوفان بشكل مختلف عما رواه السومريون والأكاديون، حيث يعتقدون أن رجلاً عاقلاً اسمه (أتونا بشتم) يسكن مدينة شورباك على نهر الفرات، فلكونه حكيمًا أحبه الإله، فتجلى له وسماه (إثرا خاسيس)، وحذره من وقوع الطوفان، وطلب منه إقامة الفلك، وأخذ أسرته معه، وأن يأخذ من الحيوان من كل زوجين اثنين، فلما حصل الطوفان سار بالفلك ورست عند النصير[١]. وكتب الحديث عند الشيعة مليئة بالمعجزات المنسوبة إلى الأئمة والأنبياء كما سنرى.

٧. شريعة حمورابي

يدَّعي الملك حمورابي أن شريعته التي وضعها على شكل نصوص تتألف من (٢٨٨) مادة، بأن الإله مردوخ هو الذي أمر بها، وأنه هو الذي تسلمها منه، وهي عبارة عن وثيقة مهمة في علم القانون، وهي أول وثيقة هدفت إلى تحقيق العدالة، وقد ورد فيها حكم العين

(١) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص ٢٥١).

بالعين، والسن بالسن، وتحريم الكذب، والسارق تقطع يده من أصابعه[١]. (وكذا الحال في القانون الساساني) قبل الإسلام.

وسنفصل أثر هذه الديانات على فكر الشيعة، وخاصة علاقة الإله بالأئمة، وفكرة الرجعة، وعزاء الحسين، ومعجزات الأئمة، وما يتعلق بذلك من خرافات لها علاقة بالكواكب والنجوم، ولكن نشير إلى أن كتب الفقه عندهم تنص على قطع يد السارق من أصابعه لا من الرسغ، خلافًا لأكثر المذاهب.

ديانة الصابئة - المندائيين

يتركز وجودهم في وادي الرافدين جنوب العراق على ضفاف الأنهار وبعض الأحواز، وقيل: إن أصلهم من حران، أو من وادي الأردن، أو من منداي جبل في إيران، وأيًّا كان الأمر، فيستخلص من معتقداتهم التي لها علاقة بالتشيع على صور مختلفة ومحاور المعتقدات الآتية:

١. تقديس الصابئة الكواكب والنجوم، ويعتقدون أن الكواكب السيارة مقر للملائكة، وأن لكل ملك عملاً يؤديه، وأكثر ما يقدسون كوكب الجدي، ويقولون: إنهم لا يُصلَّون لها، ويعتقدون أنها تؤثر بالأحداث وبالأرواح البشرية، ولعلهم شاهدوا منذ القديم ظاهرة المد والجزر في أنهار البصرة وعلاقتها بالقمر[٢].

ولهذا فمن واجبات رجال الدين عندهم قراءة الطالع المتعلق بحركة الكواكب، وهم يتطيرون من الأرواح الشريرة التي قد تصيبهم أو تصيب دوابهم في بعض أيام السنة، ولذا يغلقون بيوتهم عليهم، فلا يخرجون حتى لدوابهم.

٢. يعتقد الصابئة بوجود جنة ونار، والإنسان سيحاسب على أعماله بعد الموت، فالروح الصالحة تعبر بسهولة (نهر دخشاشة) إلى النعيم، أما الشريرة فتعاقب عند المطهراتي، الذي يطهرها ويعيدها إلى الجنة.

---

(١) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص ٢٤٦)، وما بعدها.

(٢) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص ٢٤٦)، وما بعدها.

٣. يُعاقب على جرائم القتل والزنا والسرقة والكفر بالخالق، والطلاق غير جائز، ولكن تعدد الزوجات أمر مقبول.
٤. يؤدون الصلاة واقفين ثلاث مرات في اليوم مستقبلين الشمس، وقيل: يستقبلون الجدي، ولهم معبد يتولى رجال الدين فيه تعميد الأطفال بماء النهر.
٥. يصومون فقط عن أكل اللحم ٣٦ يومًا في السنة.
٦. يدعون أن نبيهم يحيى، ولهذا فالدارسون قرنوا بصلتهم بالنصرانية.
٧. ليس من تعاليمهم بناء القبور، وإن كان بعضها قد بُنِيَ.
٨. هم مسالمون يكرهون الحرب، وإن كانت بعض الدول الأوربية قد جندت بعضهم للعمل على بواخرها في الخليج العربي في القرن الخامس عشر الميلادي، بدعوى أنهم ربما مسيحيون أو يقربون للمسيحية.
٩. أنهم يقدسون الماء، وخاصة الجاري في الأنهار، لاعتقادهم بحلول الروح المقدسة بالماء؛ ولذا فهم لا يسكنون إلا على ضفاف الأنهار، فيعتقدون أن في الماء روحًا قدسية، فعقد الزواج لا يتم إلا بدخول الزوجين والكنزفرة (رجل الدين) في النهر. ويأخذون المشرف على الموت لتغطيسه في النهر، وقيل: إن لديهم عادة تعميد الأطفال حين ولادتهم في ماء النهر، والصلاة لا تتم إلا بالوضوء أو الغسل من النهر.
١٠. يعتقدون بمعراج إدريس إلى السماء السابعة، حيث الحي العظيم.
١١. لديهم عدة أعياد ومناسبات في السنة، أهمها عيد البنجة، ويدعون أنه بمناسبة خلق الله للكون.
١٢. يعتقدون بنجاسة المرأة الحائض، حيث يجب عليها ألا تمس طعامًا؛ فالمرأة التي ولدت حديثًا يدور حولها الكثير من الخرافات، كقولهم بعدم دخول الغرباء عليها، وإذا دخل عليها أحد فيجب عند خروجه رشق أثره بدلو من الماء، وربما كانت هذه من مؤثرات البيئة والمجتمع.

obeikan.com

١٣. يعتقدون بأن البشر قد تعرضوا إلى موجات عدة من الفناء، بين كل موجة وأخرى عشرات الآلاف من السنين، حيث لا يبقى بعد كل فناء إلا زوج واحد، تتناسل منه أقوام جديدة، وسبب هذا الفناء يعزونه إلى خلق الإنسان من طين آسن، يتجه إلى الظلام وإفناء نفسه، فمثلًا يرون أنه بعد (شيث بن نوح) قضى على البشرية بالفناء عن طريق الحرب، فلم يبق إلا (آرام وورد)، وبعد عشرات الآلاف قضي على البشرية بالنار، فلم يبق إلا (شوربي) وزوجته (انهريتا) وابنه (سام).

١٤. يحتفظون بأسماء مندائية لهم، يحفظونها عند رجال الدين، ولكنهم يتسمون رسميًّا بأسماء عربية، ولهم لغة مندائية، كتبت بها كتبهم الدينية، خاصة كتاب كنزربه، ويبدو أن هذه اللغة لها علاقة باللغات السامية، وقد سكنت بينهم في قلعة صالح الليدي دراور البريطانية، وكتبت عن لغتهم وعن معتقداتهم ودياناتهم جزأين مفصلين، كما كتب عنهم كثير من المستشرقين الألمان، فعمل بعضهم قاموسًا لترجمة مفردات لغتهم، كما أن عندهم كتبًا أخرى:

أ. كتاب كنزربه: أي الكنز العظيم أي صحف آدم.

ب. كتاب دراشة أديها: يضم تعاليم النبي يحيى، مملوء بالوصايا والأمثال والفروض الدينية والنصائح.

ج. كتاب صحف آدم: يضم تعاليم آدم ويتبعونها.

د. كتاب سدوة: يدور حول التعميد والدفن والحداد.

هـ. كتاب الديونات: هو سفر ضخم، يضم كل كتبهم المقدسة.

و. كتاب الأنفس: يضم قصة هبوط النفس في جسد آدم.

ز. القلستا: يضم أصول الزواج.

ح. كتاب ألمه ريشاية: يدور حول تكون العالم.

ط. كتاب القماهي: عبارة عن حرز يكتب للأطفال.

١٥. الذبيحة عندهم لا تصح إلا على يد حلالي، يقوم بذبحها مغطسة بماء النهر، فتفيض روحها بالماء المقدس، كما تفيض روح الميت.

obeikan.com

١٦. رجال الدين عندهم مقدسون، وهم على درجات أدناها:

أ. الحلالي.

ب. الترميذة: أو التلميذ.

ج. الكنزفرة: مفسر كتاب الكنزا.

د. الريشدامة: رئيس الملة والأمة.

هـ. السرباني: وهي الأعلى، ولم يحز على المرتبة هذه سوى النبي يحيى.

وقد ورث شيعة العراق وخاصة في الجنوب الكثير من الأفكار ومعتقدات الصابئة التي سنشير إليها في موضعه، وخاصة أثر الكواكب والنجوم على الإنسان، وعلاقة المناسبات عند الشيعة بمؤثرات الكواكب.

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الثاني

الديانات الفارسية القديمة

ورثت الديانات الفارسية القديمة مجموعة من عناصر الديانات الهندية القديمة، وعناصر من ديانات الأقوام القادمة من آسيا الوسطى وشرقها (سلاجقة- تركمان- قرقيز)، وكانت بدايات الديانة الفارسية طاجيكية، تؤمن بتعدد الآلهة المتمثّلة بالظواهر الطبيعية، فلكل إله اختصاص في شؤون الخلق، فمن أجل استجلاب حمايتها يقدم لها القرابين والطعام، وأعلى القرابين هو تقديم ذبح الأبناء، وبعد أن قامت أقوام من الآريين بطرد الطاجيك من هضبة إيران- وطن الآريين- ظهرت قبيلة فارس (پارسي)، وكذا قبيلة (معاطي).

فكانت ديانتهم عبادة الكواكب والشمس وتقديم القرابين للنور، فالرب (متهيرا) انقسم بين خير وشر، عبَّروا عنه بإله النور وآلهة الظلام، وأسموا إله الخير (أهورا ومزدا)، وآلهة الشر (دورج)، فهم يعبدون اثنين لجلب الخير ودرء الشر، وتطور الاعتقاد إلى الديانة المزدكية، التي اعتقدوا بأن الإله (مزدا) تقدس، فأصبحت عينيه هي الشمس (متهيرا)، فهو يمثل النور الذي كله خير.

والنار الموقدة مقدسة بوصفها مصدرًا للنور، والإله (مزدا) يصورونه بأنه رجل رفع إلى السماء، واستمرت عينه تضيء الأرض، ولذلك قُدسوا النار يصلون لها في معابدهم على رؤوس الجبال كي تصل الصلوات بسرعة إلى السماء، وابتدعوا شرابًا يساعدهم في الهيامات بتقديس آلهتهم يشربونه عند صلاتهم، والإنسان حر في اختيار الخير أو الشر، فتطورت الديانة هذه على يد مزدك بن بإمداد في مدينة (مذرية) قيل: إن موقعها إصطخرة. وقيل: إنها قرب الكوت في العراق، وأهم ما في العقيدة المزدكية ما يأتي:

١. تؤمن بإلهين: واحد للخير، وآخر للشر؛ ولذا سميت بالديانة المثنوية، ويعتقدون أن الإله الأعظم (أهورا مزدا) هو الذي خلق الإنسان وقبله خلق النور والأرض، والإله (أهريمن) خلق الزواحف والحشرات، وأن بذور الإنسان كانت مخبأة في الأرض، فأنبتت شجرة كبيرة خرج منها زوجين من بني آدم.
٢. تحريم قتل الحيوان وأكل لحمه، ولكن لا بأس من لبنه وجبنه وزبده.
٣. تحريم القتل للإنسان ومعاملة العدو بالحسنى.
٤. يجب المساواة في الأرزاق بين الناس، لتسود العدالة، فيقسم بينهم الأرض والمال والنساء.
٥. القيام بأعمال الخير وإطعام الغرباء والضعفاء.
٦. يعتقدون بأن الإله جالس على كرسي، بيده أربع قوى هي: التميز، والفهم، والحفظ، والسرور، ويدير العالم بسبعة وزراء، تساعدهم اثنتا عشرة من الأرواح.

مرحلة الديانة الزرادشتية

وهذه الديانة نسبة إلى مؤسسها زرادشت، حيث أصبحت أوسع ديانة في إيران، وهي خليط من الديانة المزدكية والديانة الميهرية مع إضافة تعاليم جديدة من زرادشت، بوصفها حركة إصلاحية ضد رجال الدين السابقين، وأهم عناصر عقيدتها تتلخص في الآتي[١]:

١. ادعى زرادشت أهمية المفاهيم الثلاثة، وهي الأخلاق- الحرية- المسؤولية.
٢. تعتقد الزرادشتية بآلهة (أهورا مزدا)، فصدر عن (أهورا مزدا) روحان اثنتان، كانتا كامنتين فيه، إحداهما: معبرة عن روح الخير. والثانية: معبرة عن روح الشر.
٣. الحياة تمر بثلاث مراحل؛ الأولى: مرحلة الخلق الطيب. والثانية: امتزاج الخير بالشر، و تحريض الشيطان، ففي هذه المرحلة يبقى الإنسان خيرًا مكافحًا للشر،

(١) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص ٢٤٦)، وما بعدها.

obeikan.com

ولكنه عرضة للغواية. أما المرحلة الثالثة: فهي ظهور المخلص المنتظر، والمدعو (ساوشنباط).

٤. تقول الأسطورة: إن في مدينة أذربيجان في إيران رجلًا اسمه بورو زهازيو مع زوجته، ففي أثناء رعايته لماشيته تراءى له شبحان قدما لزوجته غصنًا من النبات وشربته، فحملت ولدًا سموه زرادشت، وذلك من بشرى من (أهورا مزدا)، وعند المؤرخين أن زرادشت ولد حوالي ٦٦٠ قبل الميلاد، وعند ولادته لم يبك على عادة كل مولود، وإنما قهقه ضاحكًا، وانغمر مكان مولوده بالأنوار الإلهية، واختفت الأرواح الشريرة، فأصاب كبير السحرة هلع حينما علم أن نبيًّا قد ظهر، وأنه سيقضي على السحرة والكهان؛ ولذا فقد حاول قتله أو إحراقه، ولكن المشيئة حمته.

٥. تعلم زرادشت الحكمة على يد حكيم، ولكنه اعتزل مفكرًا في الكون والحياة، فاعتقد بوجود الخير والشر، المتمثل بنور النهار وشرور الظلام في الليل، وادعى أنه نبي تنزل عليه كبير الملائكة، فتلقى منه أنوار الحقيقة، فنزل من معبده إلى الناس مبشرًا بالحقيقة المتمثّلة بالخير والشر، وادعى أن الملائكة الستة علموه الحقيقة المقدسة، وحقيقة ما في الأرض والظواهر الطبيعية ونوازع الخير والشر في الناس، فآمن بدعوته ملك إيران (كشتاسب)، فانتشرت تعاليمه من أذربيجان إلى الري (طهران)، وأصبحت الزرادشتية دينًا رسميًّا، واتسع نفوذها خاصة في عهد الدولة الأخمينية، حيث كان أهم ملوكها كورش كبير (٥٤٩. ق.م)، وانتهى زرادشت بأنه قتل، وهو يعبد النار.

٦. ومن أساطير الزرادشتية أن تحول زرادشت إلى إله في السماء، اتخذ من قبة السماء لباسًا، وكان جسمه الضوء، وعيناه الشمس والقمر، ثم تجسد الإله للزرادشت في صورة ملك ضخم، وأعانه الإله الأعظم بستة من الآلهة الصغار لمساعدته، تأخذ قوة طبيعية كالنار والماء والشمس والقمر والرياح والمطر، والإله

الأعظم يتصف بسبع صفات، هي: النور، والعقل، والحق، والسلطان، والتقوى، والخير، والخلود، ويعدد زرادشت لأتباعه هذه الصفات إلى آلهة متعددة.

٧. تؤمن الزرادشتية بأن الميت تبقى روحه حوله ثلاثة أيام، وبعدها إن كانت خيرة ذهبت إلى الجنة، وإن كانت شريرة ذهبت إلى النار، وأن هناك يوم حساب سيأتي على الناس، فيبعث الموتى، ويقع النجم المذنب على الأرض، فتنصهر من حرارته المعادن، فالخيرون يعبرونه بسهولة، والأشرار يحترقون، حيث يعبر الخيرون على صراط محدود، تتلقاهم بعده الإله (آهورا مزدا)، فيعيش أبد الدهر.

٨. توصي الزرادشتية بإبقاء النار مشتعلة مذكرة للإنسان بعبادة (آهورا مزدا)، وأن الشمس والنار ليست بآلهة، والزرادشتية تنبذ السحر والكهانة.

٩. تعتقد الزرادشتية بوجود وسيط بين الدنيا وعالم الآخرة، فأرواح الخيرة تعبره ويستقبلها (آهورا مزدا)، والشريرة يكون لها الشيطان بالمرصاد.

١٠. تعتقد الزرادشتية أن ابن زرادشت سيظهر بصفته مخلصًا للبشرية، وذلك بعد ثلاثة آلاف سنة.

١١. يقدس الزرادشتية النار، ومن تعاليمهم أن بيوت العبادة تسمى بيوت النار، بسبب أن النار موقدة بها دائمًا، ويقوم على وقودها الكاهن، والنار تنقسم في معتقدهم إلى نار البيوت، والنار التي في جسد الإنسان والحيوان، والنار التي تسري حرارتها في النباتات، والنار التي في الصواعق بين الغيوم، والنار التي تضيء الجنة تحت أقدام الإله.

١٢. تعتقد الزرادشتية بقراءة الطالع للناس، والذي يقوم به كهنة بيوت النار، فيعبدون استطلاع الغيب.

١٣. أهم كتاب عند الزرادشتية هو الأفستا، لاحتوائه خلاصة تعاليم زرادشت، ويقوم بشرحه طبقة الموابدة من رجال الدين، وقد شرح في إحدى وعشرين مجلدًا، أضيف في هذه المجلدات الكثير من التقاليد والأعراف السائدة في المجتمع آنذاك، فأصبحت بمرور الوقت جزءًا من الديانة الفارسية الزرادشتية حتى العهد الساساني، الذي أسقط على يد الفاتحين العرب، وهناك كتب أخرى

منسوبة لهذه الديانة الزرادشتية، وهي: (كتاب دنديداد) يحتوي على قوانين ضد الشياطين، و(كتاب ياسنا) يحتوي على الطقوس الدينية، و(كتاب فيسرد) يحوى مجموعة تسابيح، و(كتاب يشت) يحوي تراتيل بحمد الملائكة، و(كتاب غاث) يحوي تعالم زرادشت.

ونشير هنا إلى اختلاط العقائد الفارسية بعقائد وادي الرافدين، وخاصة العقائد البابلية المتعلقة بالميثولوجيا (الأساطير)، وإلى اليوم يوجد أقوام من الزرادشتية في إيران خاصة في يزد وطهران وعلى الحدود العراقية، ولهم بيوت نار؛ كما توجد في الهند، وأقوام من الفرس الذين رحلوا من إيران إلى الهند واستوطنوا مومباي وكراجي (هربًا من الفتح الإسلامي).

أما تعاليم الزرادشتية فقد انتشرت في كثير من الأصقاع خاصة اليونان وروما، والزرادشتيون الذين ذكروا في الهند كانوا في إيران أيام الفتح الإسلامي، ولكنهم هربوا من المسلمين، وظلوا يرسلون المعونات من الهند إلى أقاربهم في إيران مدة طويلة بعد الفتح[١].

وأثر الديانة الفارسية القديمة (المجوسية) كبير على الفكر الشيعي، خاصة ما يتعلق منها بظهور المهدي المنتظر (المخلص) آخر الزمان، وفكرة رجل الدين وعلاقته بالسماء، حيث لها علاقة كبيرة بادعاء بعض الشيعة بفكرة أن للإمام علي وبقية الأئمة إدارة الكون تفويضًا من الله، وفكرة الشيعة حول طبيعة الأئمة من حيث خلقهم الله من نور، وهم معصومون باختيار من الله، وهذا يشبه كثيرًا ما سبق شرحه، وسنبحث ذلك مفصلًا في موضعه.

الديانة الفارسية المانوية

بعد ضعف الديانة الزرادشتية في العصر الساساني ظهرت المانوية بوصفها حركة إصلاحية، ولتعديل ما ليس مقبولًا في الديانة الزرادشتية، مؤسس هذه الديانة هو

(١) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص٢٤٦)، وما بعدها.

ماني بن فاتك، ويبدو أن أفكاره واجهت عدم قبول في المجتمع الإيراني، فرحل إلى ميسان في العراق، وفي هذه المرحلة تأثرت معتقداته بمذهب المغتسلة (الصابئة) المندائيون، وكذا بالديانة النصرانية، وكان ظهوره سنة ٢١٥ ميلدي، وادعى أنه نبيًّا يوحى إليه، ومعتقدات أخرى تعد تعديلًا للزرادشتية، وخليطًا من التعاليم الهندية، وعقائد وادي الرافدين والنصرانية، ومن أهم أفكاره:

١. اعتقد بالألوهية المثنوية: إله النور المتجلي بخمسة عناصر، هي: الحلم، والعلم، والعقل، والغيب، والفطنة. وإله الظلام المتجلي أيضًا بخمسة عناصر، وهي: الضباب، والحريق، والسحر، والسموم، والظلمة.
٢. إن المانوية قسمت طبقات المجتمع إلى: المعلمين، أبناء العلم القسيسين، أو الكهنة، الصديقين، أهل السماع.
٣. الصيام سبعة أيام كل شهر، والصلاة بعد التطهر بالماء اثنتي عشرة مرة.
٤. الإقرار بنبوة زرادشت والمسيح.
٥. مجموعة تعاليم أخلاقية، أهمها حفظ اللسان، وحفظ عمل اليد، وحفظ القلب من سوء النوايا والأعمال، كما تدور تعاليمه حول معتقد الإيمان المتعلق بالإله والنبوة المذكورين آنفا.
٦. تفرض المانوية على أتباعها دفع عُشْر أموالهم.
٧. كما في عدة كتب احتوت تعاليمه، أهمها كتاب سفر الأسرار وكتاب الأصليين (حرب الشياطين مع السماء) وكتاب التعاليم الذي يحوي مجموعة من السلوك الأخلاقي. وتعرض ماني إلى اضطهاد مخالفيه، فذهب إلى الهند، وتعرف على الديانات الهندية، ثم رحل إلى الصين، وأخيرًا رجع إلى إيران، وفيها تمت مناظرته وإدخاله السجن، وتوفي في سجنه سنة ٢٧٦م[١].

فكرة الإمامة عند الشيعة الإمامية والملكية الساسانية

قبل الفتح الإسلامي كانت إيران والعراق محكومتين من قبل الدولة الساسانية، واعتمادًا على ما أسلفنا من عقيدة الفرس (المجوس) في ملوكهم أنهم مختارون أو من نسل

(١) جغرافية المعتقدات والديانات القديمة، مصدر سابق، (ص ٢٤٦)، وما بعدها.

الآلهة ونور الآلهة (اهورا مزدا) إله النور، الذي حل بالملك وبالملكة عن طريق الأساطير والمعجزات، التي نقلناها في المعتقدات الفارسية القديمة؛ فالملك عندهم له صفة إلهية يختلف عن بقية البشر وصفاته النورانية المقدسة، تنتقل في الأصلاب جيلاً بعد جيل في الأسر الحاكمة، وأوامره واجبة الطاعة، وليست قابلة للمناقشة يتلقاها منه الكهنة رجال الدين كطبقة نافذة في المجتمع الساساني، فلما تم الفتح الإسلامي ودخل الكثير من المجوس في الإسلام تفرقت بهم المذاهب والنحل، وكانوا يحملون في عقولهم هذه الحقيقة عن الملك ورجال الدين، وفي المعتقد الشيعي الإمامي، فإن أثر هذه النظرية واضح، وآتي في النصوص الواردة في مصادر الشيعة الإمامية، وخاصة كتب الحديث الأربعة المشهورة، وقد عززوا هذه النظرية بادعائات تاريخية وفلسفية منها:

أصل الأئمة الاثني عشر مزيج من الدم الهاشمي والدم الفارسي الساساني

استغل الشيعة الإمامية روايات قد تكون مكذوبة، مفادها أن ابنة الملك الساساني يزدجرد المهزوم بعد الفتح، أسرت ابنته (شهربانو) في المدائن، وقيل: أسرت هي واثنتين من أخواتها، فجيء بهم مع السبي إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتقول الرواية الشيعية: إن عمر أمر ببيعهم مع جملة السبايا، ولكن علي بن أبي طالب رضي الله عنه اعترض قائلاً: إن بنات الملوك لا تباع. و انتهت المسألة بتزويجها إلى الحسين بن علي رضي الله عنه.

فولدت منه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فالأئمة الاثني عشر هم من هذا النسل المقدس، وهذه الرواية على الرغم من عدم ثبوتها، فإن المقصود منها واضح جلي، أهمها أن الإمامة ليست للخلفاء الراشدين عن طريق الشورى والاختيار، بل هي نص إلهي من الله إلى رسوله محمد، ومن محمد إلى علي كما يدَّعون، كما أن هذه الرواية تبرر لهم رغبتهم في كراهية عمر الذي فتح بلادهم وهزم جيشهم، كما تبرر أيضًا كراهيتهم

لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار بل كراهية العرب جميعًا[١].

فالعقلية المجوسية حينما دخل بعضهم إلى الإسلام، وخاصة عن طريق فرق الشيعة ظلت عقليته في مفهومها القديم للملك الساساني المقدس وصفاته الإلهية، وهذه العقلية عند الإيرانيين بقيت حتى العهد العباسي، حيث سيطرت على عقائد الشيعة فصاغوا صفات الأئمة الاثني عشر: كصفات الملوك الساسانيين من العصمة ومعرفة الغيب ومعرفة جميع اللغات، بل وتسيير الكون، حيث كانوا يعتقدون أن الآلهة قد فوضت للملك الكون من تسيير الرياح والأمطار، وما إلى ذلك من القوى الطبيعية، كما هو مفصل في موضعه في هذا البحث، ونشير هنا إلى ما ورد في محاكمة البرامكة أيام الرشيد، حيث وجد عندهم كتبًا مرسلة من إيران معنونة: (إلهنا جعفر البرمكي) من المحتمل أن هذه الفلسفة التي ظهرت منذ القرن الثاني الهجري قصد بها نقل السلطان من يد العرب وإرجاعه إلى فارس، وهذا واضح من توجه الثورات المعادية للإسلام في العصر العباسي خاصة، والتي سنشير إليها في هذا البحث، كما تكرر القصة نفسها الخاصة بزواج الحسين إلى زواج الإمام الحسن العسكري بابنة أحد ملوك الفرس الساسانين، ولكن مصادر الشيعة تختلف في اسمها، والغرض من ذلك واضح، كما هو في القصة الأولى، ولكن هنا يراد إضفاء القصة القدسية على الإمام الثاني عشر، المدعى باختفائه في سرداب سامراء، بالرغم من أن الروايات التاريخية الثابتة تنفي أن يكون للحسن العسكري ابن، والصفات التي منحتها المصادر الشيعية الإمامية إلى الإمام المنتظر فاقت جميع الصفات التي منحها المجوس لملوكهم وآلهتهم، كما سنفصل ذلك في صفاته في هذا الكتاب.

وقد باءت محاولة المجوس الفرس بالفشل في مجموعة ادعائات بظهور المهدي المنتظر على يد العديد من الفرق الشيعية التي حاولت الثورة في العديد من المرات على الحكم

(١) انظر مناقشة تفصيل عدم ثبوتها: كتاب التشيع العربي والتشيع الفارسي: لنبيل الحيدري، (ص ٩٨)، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٤م.

العربي الإسلامي، والنتيجة أن الشيعة الأوائل الذين كتبوا تلك العقائد المختلطة بالديانة الفارسية، قد أسسوا السلطة والحكم على أساس الحق الإلهي المحصور بين أئمة آل البيت الاثني عشر فقط، والذين هم من نسلٍ نوراني، تجري في عروقه الدماء الفارسية المجوسية المقدسة، وعن هذا الطريق يفرضون سلطانهم على العرب؛ ولذا يتضح أن الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية صناعة فارسية مجوسية الأصل، كما هو واضح.

openkan.com

obeikan.com

الفصل الثالث

الديانات الهندية
الهندوكية - البراهما - والبوذية

الديانة الهندوكية

يرى الدارسون الهندوكية واعتمادًا على كتب الفيديا بأنها تؤمن في الأصل بالإله براهما، وأنه هو الكائن الأزلي الوحيد، ومن صفاته أنه كائن مطلق وأسمى، الذي اعتبره كثير من الهندوس يمثل الحقيقة المطلقة، واعتقد الهندوس أن الإله براهما هو الذي أوجد آلهة متعددة، أوكل إليهم إدارة الكون بما فيه من المظاهر الطبيعية.

والهندوسية تؤكد على المبادئ الأخلاقية عامة، وتلك الخاصة بالشعور بالمسؤولية تجاه الأسرة والأبناء والمعلمين والوالدين، والعطف حتى على المخلوقات، وتعترف الهندوكية بالحاجات الدنيوية للإنسان، وهي اللذة الحسية، وما تفرع منها، والكسب المادي، والواجب الخلقي، والتحرر والسمو.

التقمص أو التناسخ والكارما

تؤمن هذه الديانة بأن لكل شيء حي روحًا تقمصت فيه على شكل نبات أو حيوان أو إنسان أو كوكب سماوي، ويعتقدون بأن كل روح لها نشاط فعل أو رد فعل (الكارما)، والروح عبارة عن ولادة متجددة مستمرة قد تتشكل أشكالاً عدة حسب ما عليها من ضغوط وأقدار وأفعال.

حياة الفرد الروحية

تؤمن الهندوكية بأن للإنسان مراحل عمرية أربعة بعد مرحلة الطفولة (٨ سنوات):

١. من ٨ سنوات إلى ٢٥ سنة، وهي مرحلة التعلم الروحاني على يد (الغورو) رجل الدين الحكيم، وفيها يخدم التلميذ أستاذه، ويتعلم لغة الكتاب المقدس، وهو الفيديا المكتوب في الأصل باللغة السنسكريتية.
٢. مرحلة ما بعد الخامسة والعشرين: وهي مرحلة الزواج وبناء الأسرة وإنجاب الأطفال، وفي هذه المرحلة توجب على الفرد أيضًا ممارسة العبادة الروحية.
٣. مرحلة النسك والتخلي تدريجيًّا عن أعباء الحياة، وتسليم نشاطه الدنيوي إلى أبنائه وأحفاده.
٤. مرحلة الانعزال عن المجتمع والتفرغ للعبادة (مرحلة ساكن الغابة)، وفي هذه المرحلة يتم التخلي عن جميع نوازع الدنيا ومباهجها، وتحرر الروح من جميع نوازع الدنيا، والهندوكي يجب عليه الاستمرار في الممارسات الروحانية التي منها طريقة العمل الإيثارية، وخدمة الإله، وسلوك الطريقة المعرفية الغيبية، عن طريق التأمل والنظر في حكمة الأشياء، وسلوك طريق المحبة الربانية.

وعمومًا سلوك طريق اليوجا وبلا شك، فهذه الفلسفة قد أثرت أو وجدت في كثير من الديانات والفلسفات القديمة، ومنها انتقلت هذه المؤثرات إلى الطرق الصوفية والشيعية، خاصة فكرة (العرفان)، وطريق المعرفة في الديانة الهندوكية انتقل إلى ديانات أخرى كديانة الفرس (المجوس)، خاصة ما تعلق منها بسياحة رجل الدين لوحده أو مع تلامذته، وهذه فكرة المدرسة المشائية في الفلسفة اليونانية، وعند كثير من الطرق الصوفية الإسلامية[1].

وقد تجددت الديانة الهندوكية بشكل مختلف عن أصلها، وذلك على يد راما كريشنا (١٨٣٤- ١٨٨٦ م)، الذي نادى بأن جميع الديانات تعد سبيلًا للتوحيد إلى الله، وقد تأثر بممارسته مزيج من الديانات الإسلامية والمسيحية، إضافة إلى الأسس والممارسات في الديانة الهندوكية، التي تأثر بها المجتمع الهندي منذ تاريخه القديم، وركز في تعاليمه على المحبة وممارسة اليوجا، وقد انتشر هذا المذهب، ولاقى رواجًا في بعض أنحاء أوروبا وأمريكا.

(١) سهيل بشروئي ومراد مسعودي: تراثنا الروحي من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة، (ص ٢٠٦)، وما بعدها، دار الساقي، بيروت ٢٠١٢م.

الديانة البرهمية

هي الديانة القديمة للهنود منسوبة إلى الإله براهما بما يقرب من الألف الأول قبل الميلاد، وقد سطرت تعاليمها في كتب (الفيديا)، وفي قانون (مانو)، وتتعلق بالمعارف المنسوبة إلى النار والهواء والشمس، وإلى الآلهة الكثيرة الأسماء والمتعددة القوى، وفيها أيضًا تعاليم العبادات وشعائرها وبعض أحكام المعاملات.

كما تتبنى طريقة تقديم القرابين لحفظ الأرواح من الشياطين والرقى ضد السحر، كما تشمل أيضًا التعاليم إلى إشارات في كيفية نشأة الكون والخلق وبقية صفات المجتمع.

ويرى بعض الباحثين أن أصل هذه الديانة ديانة توحيد للإله براهما بدليل ما ورد في كثير من نصوص الفيديا، ولكن غلب عليهم فيما بعد القول بتعدد الآلهة مع بقاء براهما الإله القوي الأوحد، الذي لا يلد ولا يولد، وليس هو بذكر ولا بأنثى.

وفي البداية أضيف لبراهما صفة الموجد والحافظ والملك، فكانت بابًا لدعوى التثليث، وقد حرفت الديانة بدوافع الأهواء والنزاعات بين الفرق.

وحدة الوجود في البرهمية

ومقتضاها عندهم أن الكائنات جميعًا من جماد ونبات وحيوان سرت فيها روح الإله الموجد، وعلى ذلك فإن هذه الكائنات ليست إلا مظاهر منه وحده، ومن هنا فالهدف الأساسي للإنسان يجب أن يكون في الفناء في هذا الإله المطلق، حيث في ذلك سعادته، ولا يحصل ذلك إلا بالزهد والصوم والسهر وتعذيب الجسد، فتخمد بذلك شهواته، وترقى روحه، وتصفو. وتشير الفيديا أن الله والنفس الإنسانية وجميع الكائنات إنما هي شيء واحد، وما الشمس والقمر والأرواح في الموجودات إلا أجزاء ومظاهر للإله المطلق.

إن نظرية وحدة الوجود انتقلت من الديانة الهندية إلى الفارسية، حيث بلغت بعض المسلمين عن هذا الطريق، وتأثروا بها، منهم: أبو منصور الحلاج، وابن عربي. وأصبحت ركنًا من أركان الفرق الصوفية، التي تشبعت فيما بعد بهذه الفكرة، ولَم تسلم الحركات

والفرق الشيعية الصوفية، التي ظهرت في إيران من تأثيرات هذه النظرية، كما سنرى في مسألة التشيع الصفوي في إيران.

تناسخ الأرواح

إن أرواح الكائنات ومنها الإنسان لا تفنى بالموت، ولكنها تفارق الجسد الذي كانت فيه، إلى أن تحل في جسد آخر، فتظل متنقلة إلى أن تصل إلى نهايتها الأخيرة، وهي الاتحاد بالإنسان في أثناء حياته، تعلق روحه بالأفعال التي يمارسها، فإن كانت خيرًا فالسعادة ستكون مصير روحه، وإن كانت شرًّا فمصيرها إلى الشقاء، فإذا غادرت روح خيرة جسدها، فإنها تحل في جسد آخر يحقق لها استمرار السعادة، وإن كانت شريرة بما اقترفته من أفعال حلت بجسد متعب: كالحمار أو الكلب، حيث تبقى حبيسة في شقاء جزاءً لها، وتستمر هذه الدورة للروح بين الكائنات إلى أن تتطهر من جميع الشرور، وتصبح مستعدة للاتحاد والرجوع لمصدرها الأصلي: براهما. فانتقال الروح من جسد إلى آخر بهذه الكيفية، والهدف هو التناسخ، والروح في عالمها لا تدري بالعوالم التي مرت بها سابقًا، فكل دورة تكون منقطعة عن الأخرى.

ويترتب على ذلك عدم وجود بعث وثواب بالصورة التي عليها الديانات السماوية، وإنما الروح تأخذ جزاءها بالكيفية المعبر عنها سابقًا، ويستتبع ذلك عدم وجود الجنة والنار على الشكل المعروف في العقيدة الإسلامية، إنما يؤمنون بأن أرواح الناس تكون في حياتهم الأولى في منزل وسطي في الكسب والعمل، فإن كان خيرًا ذهبت أرواحهم إلى المنزلة العليا، حيث السعادة (الجنة)، و إن كان العكس ذهبت إلى الدرجات السفلى، حيث العذاب (النار)، ويكون ذلك لمدة معينة تنتقل فيها الأرواح فيما بعد لأجساد أخرى، ومن هنا يعتقدون أن كثيرًا من الأرواح الخيرة قد حلت ببعض الكائنات، فقدستها، فحلت مثلًا بنهر براهما بوترا، فأصبح ماؤه مقدسًا طاهرًا تدور حوله كثير من المعتقدات، حتى إنه يطهر الأجساد التي تلقى به، كما أن تلك الأرواح قد حلت بالبقر، فأصبحت مقدسة يحرم ذبحها وأكلها، بل لا يجوز التعرض لها بأذى، فذلك من أكبر الآثام، كما يتبركون بروثها،

واعتقدوا أيضًا أن تلك الأرواح قد حلت في صنم جماد، اقتضى عندهم تقديسه وعبادته، أو حلت برجل معين، فأصبح مقدسًا عندهم، وذلك بما ناله من نسك وصيام وتصوف.

إن نظرية تناسخ الأرواح هي الأخرى انتقلت من الديانة الهندية إلى الديانة الفارسية، ومن الفرس انتقل بعض تأثيرها في عقائد كثيرة منتسبة إلى الإسلام، وسنرى أن بعضًا من فرق الشيعة كانت تقضي بهذه الفكرة، وأظهرها بعضهم بأشكال مختلفة معدلة لتبرير عقائدهم، كما سنرى ذلك بالتفصيل فيما بعد.

لا نبوة في الديانة البرهمية

النبوة بالمعنى الذي تشير إليه الديانات السماوية لا تعتقد بها البرهمية أولًا باعتبار ذلك عملًا مستحيلًا أن يختص الخالق أحد عباده دون الآخرين بالهداية والواجب، ويمنع ذلك عن بقية خلقه، ويذكر الشهرستاني حجتهم بإنكار أفكار النبوة، أنهم يقولون: إن النبي لا تخلو حاله من أمرين: فإما أن يأمر بمعقول، والبشر لا يلزمهم نبي من أجل الوصول إلى الحق؛ لأنهم في عقل متساو، والجميع لديهم القدرة على الوصول إليه، وإما أن يأمرهم بغير معقول، وعندها لا يكون الأمر مقبولًا؛ لأن في ذلك تجهيلًا وبهيمية للعاقل، والحقيقة أن البرهمية أغلقت فكرة محدودية العقل البشري وإدراكه، خاصة في بعض مراحل حياة البشر، حيث يكون العقل في حاجة إلى الهداية الربانية عن طريق النبوة.

بالإضافة إلى أن البرهمية قد ناقضت نفسها حينما أوصلت بعض البشر إلى مصاف الآلهة بدعوى الحلول والاتحاد، كما أوضحنا ذلك، كما أنها لم تأخذ بمقتضى العقل في كثير من تعاليمها المنافية بشكل صارخ لحكم العقل: مثل تقسيم المجتمع إلى أربع طبقات، لا ترقى إلى أي طبقة أو تنتقل إلى أخرى، وهم البراهمة رجال الدين، والكشتريون رجال الحرب، والفيسائيون وهم رجال العمل والتجارة، والشواذرا وهم المنبوذون، وأصبحوا منبوذين لأنهم انحدروا من قدم الإله براهما، وهي أحط جزء من جسمه، فليس لهم إلا

وظيفة الخدمة؛ لأنهم رجس، لا يصح لمسهم ولا مؤاكلتهم ولا مصاهرتهم. والمنبوذ ينجس الآنية التي يشرب أو يأكل منها، فلا يصح استعمالها بعده[١].

وهذه لها أثر في فقه الشيعة الإمامية المتعلق بنجاسة أهل الكتاب (النصارى واليهود)، حيث ينجسون الآنية، ولا يصح ملامستهم حينما يكونون مرطبين من المطر مثلًا.

لا جنة ولا نار

ما زالت الهندوسية لا تؤمن بالبعث والحساب حسب المفهوم الإسلامي، فإن الثواب والعقاب هو الآخر لا وجود له، فلا جنة يخلد فيها المؤمنون، ولا نار يعاقب بها الأشرار، كما في المفهوم الإسلامي، وإنما بما يقضي به التناسخ تكون أرواح المؤمنين في عالم العلوى (جنة) سعيدة باتحادها ببراهما، وأرواح الأشرار تكون في عالم سفلي (جهنم)، لتتطهر مما علق بها من شرور في دورات مختلفة، حتى تتطهر الروح نهائيًّا، وعلى هذا فإن الثواب والعقاب يقع للروح لا على الجسد، وهما إنما يكونان مؤقتين لمدة معينة خاصة بالنسبة للروح الشريرة[٢].

وقد قامت حركة ضد البرهمية سميت بالبوذية، نسبة إلى المصلح بوذا (٥٢٧ ق.م)، فأنكرت البوذية وجود الآلهة، فهي حركة إلحادية، كما رفضت نظام الطبقات الموجودة في البرهمية، لكن فكرة التناسخ بقيت في البوذية مع بعض التحوير الذي يقتضي به المقال، حيث دعت البوذية إلى الزهد ونبذ العنف. ولا تؤمن البوذية بصلاة البراهمة أو تقديم القربان، كما أباحت البوذية الانتحار، وأباحت كذلك التعري للتحلل من القيود والظهور

(١) من المحتمل أن يكون لهذه العقيدة المتعلقة بنجاسة المنبوذ صلة وتأثير، لما هو عند بعض الفرق الإسلامية من اعتقادها بنجاسة أهل الكتاب خاصة، إذا لحقه رطوبة. أما آنيته وطعامه فغير جائز للمسلم، وقد ذكر بعض السائحين الأوربيين في مذكراتهم النصيحة بحمل كأس ماء، واستعماله عند السياحة في إيران. كما ينصحون بتجنب السائح المبلل بالمطر، وعدم الاحتكاك بالناس في الأماكن العامة، وفي إيران لا يجوز الزواج بالكتابية، إلا متعة حسب تعاليم الإمامية، وحجتهم في ذلك: أن أهل الكتاب مشركون، ونجاسة المشرك جاء بها القرآن الكريم. انظر أيضًا رسالة للشيخ المفيد، عنوانها: (ذبائح أهل الكتاب).

(٢) لقد أنكرت كثير من الفرق المنتسبة إلى الإسلام الجنة والنار، وقالوا بتأويل ما جاء فيها في القرآن الكريم، إنما هي أسماء رجال، ولا شك أن ذلك من آثار الديانات التي لا تؤمن بالجنة والنار والحساب والبعث على التفصيل الوارد في الدين الإسلامي، وقد ورد هذا الاعتقاد عند كثير من الفرق الشيعية كما سنرى.

على الحقيقة، ودونما زيف، وقد ادعى تلامذة بوذا فيما بعد آراء أضيفت إلى البوذية، حاولوا فيها التوفيق بين الاعتقاد بالآلهة كما في الهندوسية، وبين آراء بوذا، ومنها ادعاؤهم أن روح الآلهة براهما قد حلت في بوذا، واعتقدوا بوجوب تآخي جميع الديانات؛ لأنها على حق باعتبار الحقيقة المنبعثة من معتنقيها، فلابد من احترام جميع الديانات والأفكار، فأنشأت ما يسمى باليوجا، وقد انتشرت البوذية في شرق آسيا في الصين واليابان وسيام وبورما، ولم تسلم كثير من الفرق المنتسبة إلى الإسلام من بعض الأفكار البوذية كما سنرى[١].

الديانة البوذية

ظهرت هذه الديانة شمالي الهند في القرن الخامس قبل الميلاد على يد بوذا، وهي ديانة تركز على تعاليم الزهد وحسن الأخلاق، وليس فيها اعتقاد متعلق بخالق الكون، وتهتم هذه الديانة بتحرير الإنسان في الدنيا من الشقاء، وظهر بوذا سنة ٥٦٣ ق.م في (لومبين) قرب نيبال.

وقد طلق بوذا حياة الترف، حيث كان ابنًا لحاكم تلك المدينة واتجه إلى الزهد في شبابه، وترجع البوذية ولادة بوذا إلى أسطورة تتعلق بأحلام أمه، التي طارت بها الملائكة إلى جبال الهملايا، وهناك وضعت بالحمَام، ووضعت في الفراش، ونزل عليها فيل أبيض يحمل غصنًا من نبات البشنين، فأدخل الغصن المبارك في رحمها إلى أن جاءها المخاض، فجلست تحت شجرة البشنين، وانحنى غصن منها إلى المولود، فوقف المولود ومشى بضع خطوات، وقال: أنا سيد هذا العالم. فاحتفلت ملائكة السماء بولادة بوذا، وفي شبابه قرأ بوذا تعاليم الديانات الهندية، التي قبله خاصة البرهمية، وما ورد في كتاب الفيديا، وهاجم عقيدة البرهمية ونادى بانعتاق الإنسان[٢].

(١) الحيني: في العقائد والأديان.

(٢) كتب أصله باللغة السنسكريتية، وهي لغة الأقوام الآرية، التي غزت الهند من أقاصي آسيا الوسطى وشرقها، وعن هذه اللغة. يقال: تفرعت اللغات.

وأنكر سيطرة الآلهة ونادى بفعل الخير وترك الشر، والبحث عن إسعاد البشر وعدم الاهتمام أو الاعتقاد بقوى خارقة للمادة، ولما أنكر عليه رجال الدين الهنود عقيدته رد عليهم، بأن ماء النهر لا يرجع إلى الجبل، وأن الصلاة لا تجعل النار باردة، وأن القرابين المقدمة إلى الآلهة شر محض، والصلاة إلى الأصنام لا تقدم شيئًا، و أن براهما لم يخلف شيئًا، وأن كثيرًا مما أوردته الفيديا من عبادات للآلهة براهما خطأ كبير، و أن العالم سيبقى كما هو ليس له نهاية، كما أنه ليس له بداية في نظره، والحياة الوسطية هي الصالحة، فلا الترف مفيد، ولا تعذيب النفس مفيد، وتنحصر تعاليم بوذا بمجموعة من التعاليم والسلوك الأخلاقي المتعلق بعمل الإنسان وبكلامه وبتفكيره، حيث يجب على الإنسان التبصر والحكمة وتجنب الانفعال والغضب، وأغلبها تعاليم مادية في حياة الإنسان، وتعامله مع نفسه ومع الآخرين، ولكن بعد وفاة بوذا ٤٧٠ ق.م. طور أتباعه البوذية، وأضافوا عليها ما يأتي:

١. أن بوذا هو الابن المخلُص للإنسانية من الشرور.
٢. تجسد بوذا عن طريق حلول روح القدس على العذراء.
٣. بمولده رتلت السماء الأناشيد، وظهر نجم بوذا في السماء.
٤. قبل موته تغير جسده، فنزل عليه نور أحاط برأسه وجسده، فقال من حوله كما يزعمون: إن هذا الإله الأعظم.
٥. يصلي البوذيون لبوذا، ويعتقدون بذلك أنهم سيدخلون الجنة. ويرى أتباعه أن بوذا صعد إلى السماء، وأنه سيحاسب الأموات على أعمالهم.
٦. تلتقي البوذية بالديانة الهندوسية في الاعتقاد بفكرة التناسخ، والزهد، وتلتقي بتشابه ولادة بوذا والمسيح.
٧. أضيفت الصلاة أمام تمثال بوذا، والصيام عن الطعام دون الشراب، وذلك من فعل أصحاب بوذا.
٨. لبوذا عدة كتب، أهمها القوانين البوذية، وكتاب آخر يحوي خطب بوذا، وكتاب (تيبتكا) أصله باللغة السنسكريتية، ونقل إلى لغة (بالي) المنتشرة في سيرلانكا.
٩. انتشرت البوذية بشكل واسع ببلدان آسيا بعد أن ضمر نفوذها في الهند، وكثرت فرقها وفروعها، ولكونها ديانة مسالمة، وأكثر مبادئها خلقية تدعو إلى التسامح،

obeikan.com

فقد تطورت وانتشرت في أنحاء العالم اليوم، وتماثيل بوذا وعبادته منتشرة، ليس فقط في موطنها الأصلي، وإنما في:

١- تايلاند ٢- ماينمار ٣- كوريا ٤- الصين ٥- اليابان ٦- الهند ٧- سيرلانكا ٨- ماليزيا ٩- منغوليا ١٠- نيبال ١١- سنغافورة ١٢- فيتنام ١٣- كمبوديا ١٤- تايوان ١٥- السويد ١٦- أفغانستان.

وهي الديانة الثانية من ناحية الانتشار بعد الإسلام.

ويبدو لنا أن علاقة التشيع بالديانات الهندية القديمة حصلت من جانبين: الأول من خلال تسرب هذه الديانات إلى الديانة الفارسية القديمة، ومنها عبرت إلى الفكر الشيعي. والجانب الثاني: أن تلك الأفكار الهندية، ربما انتقلت مباشرة إلى علماء الشيعة من الأصل الهندي، وسنتتبعها كل ذلك فيما بعد في دراستنا.

ولكن نشير هنا إلى تشابه ظروف ولادة السيد المسيح وولادة الحسين بن علي رضي الله عنه، وما ذكرناه عن ولادة بوذا.

openkan.com

obeikan.com

الفصل الرابع

الديانات اليونانية القديمة

اعتقد قدماء اليونان بتعدد الآلهة وسيطرتها على مظاهر الطبيعة؛ ولذا يقدمون لها القرابين، ويتلون الصلوات والأدعية، كي تنجيهم خاصة من غوائل البحر، حيث كان يمثل جزءًا من تفكيرهم الديني، إذ تدور حوله الكثير من الأساطير، وارتبطت هذه الأساطير بما يقوم به رجل الدين من تنبؤ بالغيب، وأصبح حرفة للعارفين الذين منهم الشعراء والمبدعون، وتُمارس هذه الطقوس في المعابد التي اعتقدوا بنزول الوحي السماوي إليها: مثل مهبط الوحي في معبد دلفي، الذي أشار إليه شيشرون فكان الناس يتوجهون إليها ويطلبون من الإله الإجابة عما يعن لهم من أسئلة متعلقة بالعبادات.

واعتقد اليونانيون القدماء بالوجود الإلهي في مهابط الوحي، التي أقاموها لمعابد الناس، واعتقدوا بأن للآلهة قدرة على إصابة البشر بالمس، واهتموا خاصة بالعارفين منهم بتفسير الأحلام وبناء المستقبل والمجهول عليها، واعتقدوا بقدرة الإله أبولو على إحياء الموتى.

وقد آمن اليونان القدماء بوجود فئتين من الآلهة المتعددة، وهما آلهة السماء وآلهة الأرض، وخلصوا إلى فكرة التطهر من الخطيئة عن طريق الاتحاد مع الآلهة، وتعد الفيثاغورثية مرحلة من مراحل الفكر الديني اليوناني، وهي المنسوبة إلى المعلم فيثاغورث الذي ظهر في حدود ٥٧٠ ق.م، ويذكر الدارسون أنه مزج بين الأفكار الأوروبية وأفكار مصر الفرعونية وبين علوم الطبيعة والإلهيات، مما ينسب له من أفكار تمتعه بقوى روحية وقدرة على انطلاق الروح خارج الجسد، والقدرة على شفاء الناس، والتنبؤ بالغيب، والظهور بعد الموت (الرجعة)، والإيمان بالتقمص (التناسخ)، وبإدراكه المباشر للعالم الروحي، والعزلة والصوم وسكنى الأرواح، وعمومًا فالديانة اليونانية قبل أرسطو كانت تدور حول فكرة كون العالم مسيَّر بنظام بارع من قبل مسبب أول للوجود، عنه صدرت

جميع الكائنات، وإليه تعود كل الأشياء، وأضفوا على هذا المسبب صفة الألوهية، وهؤلاء الفلاسفة اختلفوا في ماهية المسبب الأول، فعند الفيلسوف طاليس أنه (الماء)، وعند غيره هو (الأزل اللامحدود)، غير قابل للإحاطة، ولا حصر له، ولكنه هو (يحيط بكل شيء).

وعند غيرهم أن المسبب هو الهواء الذي ينشأ منه كل شيء، وسموا هؤلاء الفلاسفة بالطبيعيين، وذلك لاتصال فلسفتهم بالطبيعة، وفسر بعض فلاسفتهم المسبب بأنه هو (اللوغوس)، الذي عبروا عنه مرة بالحكمة، ومرة أخرى بالعقل، وعند الفيلسوف أمبيدوكليس: أن هناك أربعة آلهة تتمثل في العناصر الطبيعية الأربعة، وهي (الهواء- التراب- النار- الماء).

فلسفة سقراط

لم يكتب سقراط آراءه بنفسه، وإنما نقلها تلامذته خاصة تلميذه أفلاطون في أثينا، وذلك في كتاب المحاورة الذي كتبه أفلاطون، واعتمد سقراط في تفكيره الفلسفي الديني على التحليل والمناقشة لا على التسليم والتلقي، وبهذا المنهج خالف سقراط رجال الدين والفلاسفة في أثينا على أفكارهم التي دونت سالفًا، وعن طريق التحليل والمناقشة عرض رأيه في المعرفة والعدل والفضيلة، ويهدف سقراط من ذلك إلى تحرير شعب أثينا من سطوة الفكر القديم، المُسلَّم بصحته دونما تفكير، وذلك عن طريق التفكير أو التحليل، وأن الهدف النهائي عنده هو إسعاد بني البشر، ولهذا فقد أحدثت أفكاره ردة فعل من رجال الدين والفلاسفة، ودفعوا إلى محاكمته في أثينا وقتله، وهو في السبعين من عمره يدعو إلى الفضيلة التي تكسب صاحبها الخير في الحياة وبعد الممات[1].

آراء أفلاطون

أنشأ أفلاطون في أثينا أكاديمية لتدريس تلاميذه الفلسفة، وذلك سنة ٤٢٧ ق.م، واستفاد من أسلوب أستاذه سقراط، التحليل والمناقشة، غير أنه لم يكن متعصبًا لآرائه،

(١) سهيل بشروئي، ومراد مسعودي: تراثنا الروحي من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة، (ص ١٥٨)، دار الساقي، بيروت، ط ١.

وقد كتب كتاب المحاورة أظهر فيها أسلوبه ونقده لآراء أستاذه سقراط، وآراء الفلاسفة ورجال الدين السابقين، مركزًا على أسلوب المعرفة عن طريق العقل، وقد كتب كتابه الثاني الجمهورية (جمهورية أفلاطون) موضحًا فكرته عما تبلور في الفلسفة بتسمية اللاهوت، مستخدمًا التفكير العقلي، ونابذًا لما تجمع من أساطير يونانية عن الآلهة؛ ولذا وصفت فلسفة أفلاطون بأنها فلسفة إلهية ربانية، كانت أكثر تأثيرًا بالمسيحية وبفلاسفة الإسلام، ويمكن تلخيص آراء أفلاطون بما يأتي:

١. وصف في كتابه المحاورة بأن الموجد (الخالق) صانع خير بارع كريم كامل، وفسر ذلك أحد تلاميذه بأن الخالق ليس متجسدًا أو جسمًا له صفات البشر، بل هو عقل رباني رشيد خلاق.
٢. و في كتابه المحاورة يفهم منه أن لكل إنسان روحًا أبدية خالدة، تتميز عن جسده وتختلف عنه، وهي ليست مادة، ولكنها تشكل فكر الإنسان في كتابه (فيدو)، ويرى أن الفلسفة تساعد على التحرر من الجسد والتوجه إلى الفضيلة، فالحكمة والفضيلة عنده تظهر من النزعات نحو الخطيئة. والروح عنده خالده تدفع إلى تذكر الفضيلة في جميع الظروف؛ فالروح لها قدرة عنده على تجنب التجسيد والتناسخ.
٣. يرى أفلاطون أن العالم الخارجي الذي يحيط بالإنسان يتم عن تكوينه لصور مخالفة للحقيقة، وذلك نتيجة قصور لما يتحسسه المرء من حواسه للعالم الظاهري؛ ولذا فحواس الإنسان لا يعتمد عليها لإدراك الحقيقة.
٤. في كتابته المادية التي تناول فيها أفكار الفلاسفة حول آلهة الحب والجمال، ورفيق أفروديت، والمسمى عند الرومان كيوبيد، استخلص بأن الحب درجات، تبدأ من الحالة الفردية إلى الانتقال إلى العموم والشمول، حيث يسمو إلى درجات أعلى في الفكر والعلوم والشعر والسياسة... .

وهذا عنده قمة الإدراك المفاجئ للجمال، وفسر الفلاسفة الأفلاطونية المحدثون والمسيحيون: بأن كلام أفلاطون في المادية إنما هو تعبير عن استعارة مجازية (الحب)، وترمز إلى توجه الروح إلى الله، و أن هناك طبقات لحقائق الوجود.

آراء أرسطوطاليس

وهو أشهر تلاميذ أفلاطون، أسس مدرسة فلسفية سنة ٣٨٤ ق.م في أثينا، وتعد آراؤه مزيجًا من آراء أستاذه أفلاطون، مع تعديلات وإضافات قام بها، وأهمها ما يأتي:

١. أن إصلاح الإنسان يعد تعبيرًا عن نشاط روحه، تبعًا للفضائل والكلمات التي يسعى إليها.
٢. أن السعادة الإنسانية مرحلة يكون فيها الفكر المنطقي فعلًا وفقًا للفضيلة.
٣. يرى أرسطو أن العقل هو أسمى ما يميز الإنسان من إدراك الفضيلة، واستخدام الطاقة البشرية عن طريق العقل، فالهدف هو الوصول إلى الفضيلة التي تحقق السعادة.
٤. شرح أرسطو حركة الكواكب، وأنها تتحرك مع الظواهر بقوة الإله القادر، الذي هو عند أرسطو العقل الإلهي، وهو عنده الحقيقة التامة الكاملة، وهو المبدئ الأول للوجود، والمحرك الذي لا يتغير ولا يتبدل، فالكون وما فيه يدور حول محبة الحقيقة والعقل.
٥. في رأي أرسطو أن التأمل الإنساني هو أفضل سبيل للوصول إلى إدراك الحقيقة الأزلية (اللاهوت).

وقد تأثر بآراء أرسطو الإسكندر المقدوني الثالث، وقاد جيشًا في حدود سنة ٣٣٦ ق.م أخضع فيه بلادًا مترامية الأطراف، شملت آسيا الصغرى والشام والهند ومصر، وأنشأ مدينة الإسكندرية، وغزا بلاد الرافدين وإيران، وانتشرت في هذه البلاد الفلسفة اليونانية، وقيل: إن غرض الإسكندر كان غرضًا فلسفيًّا في توحيد العالم، الذي اعتقده محققًا لسعادة الإنسان، ومدفوعًا بدوافع الفلسفة اليونانية.

فلسفة أفلوطين المحدثة

وبعد ستة قرون بعثت آراء أفلاطون من جديد على يد مجموعة من الفلاسفة الرومان، أخصهم أفلوطين الذي ولد في الإسكندرية سنة ٢٠٤م، ثم رحل إلى روما، وفيها

نشأت الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، التي استحدثها أفلوطين وغيره من فلاسفة عصره، ويمكن تلخيص آرائها بما يأتي:

١. مزجت هذه المدرسة بين أفكار أفلاطون وأرسطو والمدرسة الرواقية، وركزت أفكارها حول ما وراء الطبيعة، وأن للعالم موجدًا استنتجته هذه المدرسة من فكرة أفلاطون المتعلقة بألوهية المحبة وعلاقتها بالجسد، وترى الأفلاطونية المحدثة أن للفلسفة هدفًا ساميًا، وهو تلمس الحقيقة عن طريق معرفة الخالق، بقصد الاتحاد بالخالق عن طريق التأمل الفلسفي.

٢. وصف أفلوطين الخالق بأنه الواحد المكتفي ذاتيًّا بالخير، وأن الخالق ليس كائنًا ذا حجم وحيز، وأنه ثابت غير متغير أزلي، وهو فوق كل إدراك بشري، ويعبر عنه أحيانًا بالحقيقة المطلقة.

٣. تعتقد هذه المدرسة بالأقانيم الثلاثة: الأقنوم الأول وهو الحقيقة المطلقة. والأقنوم الثاني وهو العقل. والأقنوم الثالث وهو الروح أو النفس.

وبتعبير آخر: ترى هذه المدرسة أن الأقنوم الأول يعبر عن الواحد ذي الحقيقة المطلقة، التي ينبعث عنها العقل، وهي الأفكار الإلهية.

والأقنوم الثاني فهو العقل الثاني، ويفسر بالأشكال التي تنبعث من الإله (الحقيقة المطلقة): كالعدل والجمال والحكمة... .

وأما الأقنوم الثالث فيعبر عنه أيضًا بأنه القوة الخلاقة، التي تشكل العالم المحسوس، وتمد العالم بروح فردية مشخصة، حيث تصبح روحًا بشرية.

٤. وترى الأفلاطونية المحدثة بأن الروح تحاول أن تستكشف طريقًا للخلاص والهروب إلى الموجد، وفسر ذلك إلى الهروب إلى الله وبتعبير آخر الاتحاد بالخالق.

ويرى أفلوطين أن للروح قدرة للانفصال عن العالم المادي، وذلك عن طريق التأمل والتدرج للمسير نحو الخالق، ولكن الروح أيضًا قد تسلك الطريق السفلي، فتنجذب إلى العالم المحسوس (اللذة) إذا هي لم تسلك طريق الزهد والورع.

٥. تسلك هذه المدرسة مسلك الزهد والورع والابتعاد عن أكل اللحوم والاقتصار على المآكل النباتية، التي في اعتقادهم طريق الصفاء الروحي، وقد تأثرت اتجاهات هذه المدرسة ببعض المتوارث من الأساطير والسحر الذي يعين في رأيهم حضور الأرواح.

٦. سميت فلسفة هذه المدرسة فيما بعد بالفلسفة الإشراقية، وذلك بسبب اختلاطها بعناصر من الديانات الشرقية، وخاصة الهندية والفارسية (المجوسية)، وأخص ما ركزت عليه هذه المدرسة فكرة الحلول ووحدة الوجود، التي أشرنا إليها من أفكار أفلوطين، حيث توضحت عند هذه المدرسة فكرة الحلول والاتحاد للروح الإنسانية مع موجدها الأول، واتخذت هذه المدرسة فكرة العرفان كوسيلة من وسائل الإلهام الروحي للوصول إلى الحقيقة.

ونقل زياد الحمام عن الغزالي: أن أفلوطين قال: «وقد وجدت مرات عديدة أن ارتفعت خارج جسدي، بحيث دخلت نفسي، كنت حينذاك أحيا وأظفر باتحاد مع الله»[١].

فالمدرسة الإشراقية سلكت طريق الغنوص (العرفان عن طريق الإلهام)، وذلك للوصول إلى معرفة الحقيقة بخلاف المدارس الفلسفية الأخرى المعتمدة على البرهان، وقد أثرت هذه المدرسة بمفاهيمها السابقة على الفلسفة الإسلامية بشكل عام، وعلى الفرق الصوفية والشيعية بشكل خاص، خاصة فيما تعلق بنظرية الحلول والاتحاد، وفكرة وحدة الوجود، وفكرة العرفان، سنفصل في هذا الكتاب من تأثر من علماء الشيعة وفلاسفتهم بهذه النظرية، وبأفكار هذه الفلسفة الإشراقية: كالسهروردي، والملا علي نوري، والملا هادي السبزواردي، والملا إسماعيل الدرب كوشكي، والشيرازي، والداماد، والفيض الكاشاني، وسعيد القمي، إضافة إلى الحلاج وابن عربي[٢].

(١) زياد الحمام: العلاقة بين الصوفية والإمامية، (ص ٨٨- ١٤٦)، ط١، الرياض، دار البيان ١٤٣٢هـ.

(٢) العلاقة بين الصوفية والإمامية، مصدر سابق، (ص ١٤٦).

الفصل الخامس

الديانة اليهودية

في كتابنا (أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة) أوجزنا شيئًا من تاريخ اليهود، ثم تحدثنا عن أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة، وكيف تسرب لهم عن طريق الإسرائيليات والتفسير، ثم أفكار إسرائيلية استعارها التشيع: كفكرة الألوهية، وتحمل ذنوب الأمة، ونقل الجنائز ودفنها في النجف، وفكرة التثليث والبداء والتابوت، واستعارة معجزات الأنبياء، وخاصة معجزات عيسى عليه السلام ومريم العذراء، وفكرة العنصرية والتميز، واختيار الخالق لليهود، ثم أوردنا جملة من تشابه الأفكار عند الفريقين في مسألة الوصية والأسباط الاثني عشر والمهدي المنتظر، والتضحية بالآخر، وتقديس الأئمة وعصمتهم، وفكرة التقية والرجعة وتحريف كتاب الله، وفكرة تجسيم الخالق. وتناولنا أيضًا التشابه في بعض العادات والممارسات في الصلاة ومناسبات الأعياد والمآتم وزيارة القبور ونكاح المتعة وتحريم أكل الأرنب وبعض الأسماك، وتعطيل أحكام الشريعة، والطعن في الأنبياء وزوجاتهم وأصحابهم، وفكرة الحلول الإلهي، والتأويل الباطني، وتشابه رأى الفريقين بمخالفيهم، ثم أوضحنا وسائل انتقال الفكر اليهودي إلى التشيع التي منها بعض الرجال والرواة والفرق، وبعض المدن كمراكز للانتقال الفكري[1].

والآن نلقي الضوء على أهم الملامح التاريخية اليهودية، وتشابه تلك المراحل وتطورها مع فكر الشيعة وتاريخهم.

مقدمة عن تاريخ اليهود

ملخص لتاريخ اليهود منذ النشأة، وذلك على المراحل الآتية:

(١) د. عبداللطيف عبدالرحمن الحسن: أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة، العبيكان، الرياض ٢٠١٤م.

جدول توضيحي لتواريخ تقريبية لليهود[١]

السنة	الحدث
٢٢٠٠ق.م	خروج إبراهيم عليه السلام من العراق، وعبوره إلى فلسطين
٢١٠٠ق.م	ظهور بني إسرائيل
١٧٨٠ق.م	دخول بني إسرائيل لمصر
١٣٥٠ق.م	خروج بني إسرائيل من مصر
١٣٠٠ق.م	وفاة النبي موسى عليه السلام
١٢٠٠ق.م	استيلاء بني إسرائيل على أرض كنعان بفلسطين
١١٨٩ق.م	استولى يشوع بن نون على البلاد
١٠٩٥ق.م	حكم النبي داود عليه السلام في أورشليم، ليصحح مسار الديانة اليهودية وحكم ٤٠ سنة
١٠٦٠ق.م	حكم النبي سليمان عليه السلام وحكم ٤٠ سنة
٧٢١ ق.م	غزا سرجون ملك العراق مملكة (السامرة) بفلسطين (السامرة الشمالية)
٧٠٠ ق.م	كتبت التوراة
.---.---.	غزا الفرعون (نخو) مملكة يهوذا الجنوب (القدس)
٥٩٧ ق.م	السبي البابلي الأول
٥٨٦ ق.م	السبي البابلي الثاني، وهدم أورشليم والهيكل
٣٨٠ ق.م	كتابة التلمود البابلي
٣٦ ق.م	تخريب الرومان القدس واحتلالها
٢٩ ميلادية	تسبب اليهود بقتل المسيح
٧٠ ميلادية	احتلال الرومان للقدس، وطرد اليهود منها، وبعدها تشتتوا في الأرض إلى أن قامت دولة إسرائيل
٢٢٠٠ق.م	مرحلة التكوين: الديانة البدائية واستخدام اللغة العبرية، منسلخة من الآرامية والكنعانية. خروج إبراهيم عليه السلام من العراق وعبوره إلى فلسطين.

(١) إن السنين الواردة ليست على سبيل التحديد، وإنما هي تواريخ تقريبية؛ ولهذا اختلفت فيها المصادر التاريخية، ونحن إنما نورد تلك التواريخ لمجرد تقريب الأحداث لمفهوم القارئ والمقارنة فيما بينها.

openkan.com

جدول توضيحي لتواريخ تقريبية لليهود[١]

السنة	الحدث
٢١٠٠ق.م	حياة بدوية رعوية والاهتمام فيها بالكبش (الأيل)، وتكوين بلدة إيليا وبيت ايل. ظهور بني إسرائيل (يعقوب) وتوسعهم في بلاد كنعان.
١٧٨٠ق.م	دخول بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية عبادة الثور بدل الأيل واضطهاد بني إسرائيل من قبل فرعون
١٣٥٠ق.م	خروج بني إسرائيل من مصر ومرحلة (التيه). ديانة التوحيد وعبادة الإله يهوا وعبادة العجل من الذهب، متأثرين بالديانة المديانية (مدين).
١٣٠٠ق.م	وفاة موسى عليه السلام قبل وصوله إلى إيليا، ورئاسة يوشع بن نون وصي موسى مرحلة فتح الإسرائيليين لأورشليم ومدن أخرى
١٢٠٠ق.م	استيلاء بني اسرائيل على أرض كنعان مرحلة حروب بني اسرائيل وانتصارهم على الكنعانيين والعمالقة
١٠٩٥ق.م	حكم النبي داود عليه السلام ١٠٦٠ق.م
١٠٦٠ق.م	حكم النبي سليمان عليه السلام مرحلة بناء الهيكل في أورشليم
٧٢١ ق.م	انقسام مملكة إسرائيل إلى يهوذا (أورشليم)، والسامرة (الخليل وما جاورها) غزو الملك سرجون العراقي لمملكة السامرة مرحلة الخلاف السياسي بين الإسرائيليين من جهة، وتمردهم على الحكم في العراق ومصر
٧٠٠ ق.م	كتابة التوراة قيام كهنة اليهود بكتابة التوراة على مراحل زمنية مختلفة، جمعت من ذاكرة الكهنة، وما كان مكتوبًا من تعاليم موسى في الألواح غزو فرعون مصر مملكة يهوذا (أورشليم)
٥٩٧ ق.م	السبي البابلي الأول في عهد نبوخذ نصر
٥٨٦ ق.م	السبي البابلي الثاني وهدم أورشليم والهيكل وسبي اليهود، وجعلهم عبيدًا في بابل

(١) إن السنين الواردة ليست على سبيل التحديد، وإنما هي تواريخ تقريبية؛ ولهذا اختلفت فيهاالمصادر التاريخية، ونحن إنما نورد تلك التواريخ لمجرد تقريب الأحداث لمفهوم القارئ والمقارنة فيما بينها.

جدول توضيحي لتواريخ تقريبية لليهود[١]

السنة	الحدث
٣٨٠ ق.م	كتابة التلمود البابلي مرحلة تأثر اليهود بديانات وادي الرافدين وإدخالها بالتلمود المعتبر شرحًا للتوراة
٢٠٠ق.م	إرجاع ملك الفرس كورش اليهود إلى فلسطين مرحلة بناء الهيكل ثانيًا وبناء أورشليم مرة أخرى
٣٦ ق.م	غزو الامبراطور الروماني بومباي أورشليم تخريب الهيكل تآمر اليهود على قتل النبي زكريا ويحيى عليهما السلام
٢٩ ميلادية	صلب المسيح تآمر اليهود وتعاونهم مع الرومان، وتحريض الحاكم الروماني بيلاطس على قتل المسيح
٧٠ ميلادية	غزو الرومان فلسطين، وتخريب أورشليم تشتت اليهود وخروجهم إلى نواحي مختلفة من الأرض
القرن الخامس	إخراج اليهود من يثرب استيطان مجموعات يهودية في اليمن والعراق والشام وعيشهم بسلام في الدولة الإسلامية
٨٠٠ م - ١٠٠٠م	إخراج اليهود من يثرب استيطان مجموعات يهودية في اليمن والعراق والشام وعيشهم بسلام في الدولة الإسلامية
بعد ١٤٠٠ميلادي	طرد اليهود من إسبانيا المسيحية لجوء اليهود إلى تركيا العثمانية، وتسميتهم بيهود الدونمة
من ١٦٠٠ م إلى١٨٠٠م	حقبة التعبئة النفسية والعقائدية قيام يهود أوروبا ومن في الشتات بالمناداة بتجمع اليهود والاهتمام بعقائدهم وكنيسهم
من ١٨٠٠م إلى ١٩٤٨ م	مرحلة التمهيد للعودة إلى أرض الميعاد حقبة العنف والتمرد اليهودي، والمطالبة بحقوقهم في بلاد الشتات وحصول ما يسمى بالمحرقة

(١) إن السنين الواردة ليست على سبيل التحديد، وإنما هي تواريخ تقريبية؛ ولهذا اختلفت فيها المصادر التاريخية، ونحن إنما نورد تلك التواريخ لمجرد تقريب الأحداث لمفهوم القارئ والمقارنة فيما بينها.

obeikandl.com

جدول توضيحي لتواريخ تقريبية لليهود[١]

السنة	الحدث
من ١٩٤٨ م	قيام دولة إسرائيل واستكمال الهجرة من دول الشتات اضطهاد الفلسطينيين وطردهم من أراضيهم[٢]

هيكل سليمان

ينسب اليهود إلى نبي الله سليمان قيامه ببناء هيكل، وهو عبارة عن معبد أو قصر يشبه الكنيسة الصغيرة، يحوي العرش الذي كان يجلس عليه، وقد يكون مكان استقبال ضيوفه، وربما كان هو المكان الذي وضع فيه عرش الملكة بلقيس ملكة سبأ، وربما يكون هو المكان الذي استقبل فيه الملكة بلقيس، وأن بعض أرضيته كانت من القوارير، حيث أشار القرآن الكريم إلى أن بلقيس حينما دخلت الصرح حسبته لجة من الماء، فرفعت ثوبها، كما يذكر المفسرون.

قيل: إن طوله ١١٣،٧٥ قدم، وعرضه ٣٢،٥ قدم، قام ببنائه مختصون من مدينة صيدا وصور، وبني على طراز متأثر من الطراز الفرعوني والفينيقي. وقيل: إنهم وضعوا فيه لفائف من التوراة في تابوت العهد، وكان الهيكل بعد ذلك رمزًا للقداسة، لا يدخله إلا الكهنة في يوم الغفران مرة في السنة.

وقد هدمه الجيش الآشوري البابلي بأمر من الملك نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م. حين هدم أورشليم كلها، وقد أعيد بناؤه كما يُدَّعى سنة ٢٥١ ق.م. بمساعدة كورش ملك إيران، ولكن الرومان غزو أورشليم، وقضوا على الهيكل سنة ٧٠ م، واستمر حنين اليهود إلى هذا الرمز يمنون أنفسهم بإعادته، ولكن لا يعلمون بدقة أين موقعه، ولهذا تتكرر محاولة الإسرائيليين الحفر في المسجد الأقصى وقبة الصخرة، مدعين أن قواعد الهيكل كانت تحتها، وفي صلاتهم اليوم دعاء يتلى بإقامة وإعادة الهيكل.

(١) إن السنين الواردة ليست على سبيل التحديد، وإنما هي تواريخ تقريبية؛ ولهذا اختلفت فيها المصادر التاريخية، ونحن إنما نورد تلك التواريخ لمجرد تقريب الأحداث لمفهوم القارئ والمقارنة فيما بينها.

(٢) عباس إبراهيم مزهر، مصدر سابق، (ص ٢٧٤).

openkan.com

وكثير من الفرق الدينية تقدس الأبنية أو المعابد أو الأضرحة التي دارت حولها تجمعاتهم وصلاتهم وذبح قرابينهم، وعند الشيعة الاثنى عشرية في تراثهم المسطور في الأحاديث المنسوبة إلى الأئمة أن الإمام المنتظر عند ظهوره سيقوم بأعمال كثيرة، منها إعادة بناء مسجد الكوفة (الذي يسمونه مسجد الإمام علي) معبرين عن نفس الحنين اليهودي للهيكل لما في التاريخ الديني للتشيع لمسجد الإمام علي من قدسية وذكريات من خطبه وأخيرًا كان مكان اغتياله.

ويقوم الشيعة بدفن موتاهم في النجف قريبًا من قبر الإمام علي، ومن لم يتمكن من جلبه إلى النجف لسبب أو لآخر يقومون بإيداعه إلى الأرض، ثم ينقلونه إلى النجف، وتدعي الأحاديث المروية عندهم أن الإمام علي سيشفع لكل من دفن حوله.

ويحاول اليهود اليوم الدخول والحضور إلى المسجد الأقصى مدعين الصلاة، وأنهم يمهدون إلى إعادة بناء الهيكل، وقد تأسست جماعات من اليهود لهذا الغرض، وقد عارضها بعض اليهود المتمسكين بالنص الوارد في كتبهم، بأن إعادة بناء الهيكل لن يتم إلا بعد ذبح البقرة الحمراء، التي لا شية فيها، واستخدام رمادها ودمها في طقوس التطهير، ولن يتم ذلك حسب النص إلا بعد خروج المسيح المنتظر.

وما يتصل بهيكل سليمان حائط المبكى، وقدسيته عند اليهود. قيل: إنه كان هو الحائط الغربي لهيكل سليمان عندما أعيد بناؤه للمرة الثانية، ويصلون عنده على ادعاء بأن الله قريب من هذا الحائط، يسمع دعاءهم، وينظر إلى بكائهم الذي ينصب عادة على هدم الهيكل الذي يمثل قدس الأقداس (بيت الله).

وقد انقسم اليهود حوله إلى قسمين: المتدينين: يرون أن يخصص الحائط هذا للصلاة والبكاء حوله فقط، ويبعد عنه النساء وكل ما هو غير طاهر. والقسم الثاني: اتخذه ساحةً للتنزه وإقامة الحفلات والمناسبات.

ومن الجدير بالذكر: أن الخلاف حول حائط المبكى بين الفلسطينيين المسلمين واليهود أمر قديم منذ العهد العثماني، وقد تكررت حوله جملة من الاشتباكات، كان منها

في عهد الانتداب البريطاني، حيث قررت اللجنة المختصة بفض النزاع، بأن الحائط ملك للمسلمين، ولا بأس من تعبد اليهود حوله[١].

وقد تسمى المعبد اليهودي في بعض الأحيان بلفظة: هيكل، رمزًا إلى هيكل سليمان. وللمعبد تسميات عدة، منها سنياجوج، ومنها الكنيس اليهودي، وقد اختلفت في بنائها وطرازها حسب الأماكن التي يعيش بها اليهود، وعمومًا فإن المعبد يتجه شرقًا إلى القدس؛ ولهذا فإن الحائط الشرقي يكون عادةً السطر الأول من الصفوة، ويأتي وراءهم عموم اليهود من التجار والصفوف الأخيرة قرب الحائط الغربي، يكونون الطبقات الدنيا، وتقام الصلاة يوم السبت، وثلاثة أوقات كل يوم بعد التنبيه ببوق يشبه القرن، ويتلى في الصلاة بعضًا من نصوص التوراة، والمرأة لا تحضر عادة إلى المعبد، بل إن عند بعض مجتمعات اليهود كاليمن المرأة غير مكلفة بالتكاليف الشرعية[٢].

وفي المعبد توضع المنوارة، وهي عبارة عن شمعدان ذي سبعة رؤوس، وقيل تسعة رؤوس، غالبًا توضع فيها شموع الإنارة، ويدعون أن هيكل سليمان كان مضاء بالمنوارة، وقد أصبحت رمزًا لليهودية في مجالات شتى.

ويختلف المعبد عند بعض التجمعات اليهودية بما يسمى عندهم بالمدراس، وهو مكان تدريس الأولاد للديانة اليهودية، وقد تطورت الحاجة عند بعض المجتمعات اليهودية إلى فصل المعبد عن المدراس، كما هو الحال عند الشيعة بالفصل بين المسجد والحسينية، حيث يخصص المسجد فقط للعبادة، والحسينية مخصصةً للأغراض الاجتماعية والمناسبات الدينية.

ولا علاقة لنجمة داود بهيكل سليمان، ولم ترد لا في التوراة ولا في التلمود. وقيل: إن أول ظهورها كان على معابد رومانية، ثم ظهرت رسمًا على المعابد اليهودية في القرن الثالث الميلادي، وتذكر بعض الروايات عند اليهود أن هذه النجمة كانت على درع ابن

(١) غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، (ص ٤٧-٦٤)، وما بعدها، ط١، دار الجليل، عمان ١٩٩٤م.
(٢) غازي السعدي: مصدر سابق، (ص ٧٨)، وما بعدها.

obeikan.com

داود، وقد اتخذتها عائلة روتشيلد رمزًا في درعهم، ثم اتخذتها الحركة الصهيونية اليهودية رمزًا لها.

والملك داود من قبيلة يهودا، وهي إحدى أسباط إسرائيل الاثني عشر، وقد كونت مع قبيلة بنيامين (سبط بنيامين) المملكة في أورشليم، في حين أن الأسباط العشرة الأخرى انشقوا، وكونوا مملكة إسرائيل في السامرة بقيادة يربعام.

ومن المعروف أن نجمة داود توضع على شواهد القبور اليهودية، كما على كتب الصلوات وعلى الشالات، التي يلتحف بها اليهود، وبهذا أصبحت رمزًا في العلم الإسرائيلي الأزرق.

التوراة والتلمود مصادر اليهودية

إن التوراة عبارة عن التعاليم التي أنزلت على موسى، والتي تسمى بالألواح، ربما إشارة إلى كتابة هذه التعاليم على ألواح من الطين المفخور، وقيل: إن اليهود قد حفظوها في بداية الأمر في تابوت يتنقلون به معهم، وهذه التعاليم عبارة عن أسفار موسى الخمسة، وأضيف إليها فيما بعد سفر الأنبياء والمزامير، وسفر الأمثال، ونشيد الإنشاد، وبقية أسفار الحكمة، وتسمى جميع الأسفار عند اليهود التناخ، وعند النصارى بالعهد القديم.

وقد كتبت التوراة كما يذكر حوالي سنة ٨٠٠ قبل الميلاد، أما التلمود فهو عبارة عن شرح من قبل الرابان (رجال الدين) اليهود للتوراة، وينقسم إلى التلمود البابلي الذي كتب في بابل في العراق منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، والقسم الثاني: التلمود الأورشليمي الذي كتب في القدس، ولكن التلمود البابلي أوسع وأكثر تعاليمًا من الأورشليمي، وقد قسموا التلمود إلى قسمين، هما المشناة والجمارة.

واختلف علماء اليهود في طبيعة التوراة، فمنهم من يرى أنها وحي من الله إلى نبيه موسى، ولكن فيما بعد جرى عليها الكثير من الإضافات والحذف، ويرى آخرون أن نصوصها منزلةٌ في ألواح على نبي الله موسى.

وقد جاء بها لبني إسرائيل، وقد تكسرت تلك الألواح حينما التقى موسى بأخيه هارون غاضبًا مما جرى لبني اسرائيل من عبادة العجل في غيابه، فرجع موسى إلى الطور، وجاء بألواح أخرى. يقال: إن نصوصها اختلفت عن الأولى.

وقد نشأت في اليهودية عدة مدارس تختلف فيما بينها في التمسك بظاهر النص التلمودي، وأخرى سلكت مسلك التأويل والتفسير حسب أهوائها، وهناك مدارس تعد التوراة من صنع الإنسان (رجال الدين)، فقد جاء في قرارات مؤتمر بتسبرج اليهودي الإصلاحي سنة ١٨٨٥م: «إن الكتاب المقدس ليس من صنع الله، بل هو وثيقة من صنع الإنسان، أي أنه نتاج وعي الإنسان التاريخي، وليس مطلقًا خالصًا لا علاقة له بالتاريخ وينوء الإنسان بحمله».

وقد قام كثيرٌ من علماء اليهود الإصلاحيين بتطوير التعاليم الواردة في التوراة، مثال ذلك طريقة إقامة الصلاة، فقد أدخلت المدرسة الإصلاحية الألمانية على الصلاة اليهودية المزامير والموسيقى، وسمحوا بدخول المرأة إلى المعبد، وغيروا كثيرًا من النصوص الدالة على التعصب وشتم الآخر.

و قد تجرأ بعض الشيعة الاثني عشرية إلى القول بتحريف القرآن الكريم، مدعين الزيادة فيه أو النقص منه، وربما تعود هذه الجرأة إلى الاقتداء بما فعله اليهود بتوراتهم، وقد بسطنا هذا الموضوع في كتابنا (جذور التشيع)، وأوضحنا من قال من الشيعة الاثني عشرية بعدم حصول التحريف.

الأسباط الاثنا عشر

كان اليهود قديمًا منقسمين إلى اثني عشر قبيلة سامية، تسمت بأسماء أولاد الأنبياء، خاصةً أولاد يعقوب عليه السلام (إسرائيل)، وهم: روبين وشمعون ولاوى ويهودا ويساكر وزيلين ويوسف وبنيامين ودان ونفتالي وجاد وأشير.

واختص بيت لاوى بأعمال الكهانة في المعبد، وقسموا أرض كنعان (فلسطين) بعد احتلالها على هذه القبائل، وخاصة في عهد القضاة والملوك، ولكن مملكة إسرائيل

انقسمت إلى دولتين: يهودا والناصرة (إسرائيل)، فانقسمت هذه القبائل بين هاتين الدولتين. ويشير بعض الباحثين إلى التشابه العددي بين اثني عشر إمامًا من أئمة الشيعة الاثني عشرية، وعدد أولاد إسرائيل، أو بمعنى آخر بين عدد نسل الإمام علي من الأئمة وبني إسرائيل.

فهل كان ذلك محض مصادفة أم حسن اختيار من أوائل الشيعة؟

اللغة العبرية

استدعى اليهود اللغة العبرية من أجل تقوية ادعاءاتهم السياسية والدينية، وقد أثبت علماء اللغات أن حروف اللغة العبرية مأخوذة من حروف اللغة الآرامية، مع تعديلات عليها من اللغة الكنعانية، وقد كتب اليهود التلمود البابلي باللغة الآرامية، حيث كانت هي الشائعة، وبعدئذ استخدموا اللغة العبرية القديمة في أثناء وجودهم في أرض كنعان متأثرة باللغة العربية واستعارة من معانيها الكثيرة، ولكن الشتات اليهودي وخاصة في البلاد الأوروبية غَيّر من اللغة العبرية، فأدخل عليها مفردات من اللغات الأوروبية، وهكذا يتضح أن اللغة العبرية هي هجين مركب من اللغة الآرامية والعربية والكنعانية.

أما اللغة العبرية الحديثة المستعملة اليوم، فهي من ذلك الهجين الذي دخله كثير من المفردات الأوروبية، ومن هذا الاستعراض اللغوي يتضح أن النفسية اليهودية متقلبة المزاج، تدعي ميراث غيرها من الحضارات واللغات فتنسبه إليها، وهي في حقيقتها هجين مأخوذ من بقية الشعوب، وهو غير أصلي ولا نابع من حضارة يهودية، وهذا السلوك يستخدمه اليهود حتى اليوم، فيدعون أن الأزياء الفلسطينية وما هو موجود على أرض فلسطين من آثار، نسبوها لأجدادهم ظلمًا، وما ذلك إلا تعويض عن مركب النقص الحضاري، الذي لا جذور له عند الشعب اليهودي، فأنت تستطيع أن تتبع جذور الحضارة الهندية أو الفارسية أو الرومانية أو العربية الإسلامية، ولكن من العسير تتبع ومعرفة حضارة يهودية متسقة في التاريخ والفكر واللغة، فالباحثون بالفكر اليهودي يرجعونه إلى استعارة اليهود من الشعوب، التي سكنوا حولها خاصة شعب وادي الرافدين والفرس والكنعانيين والعمالقة

واليونان والرومان، وقد قام بعض الباحثين في مقارنة بين ما ورد في قانون حمورابي والمعتقدات اليهودية، فوجدوا تشابهًا كبيرًا بينهما.

ادعاء اليهود بأرض إسرائيل

يزعم اليهود أن الكنعانيين في فلسطين إنما هم أولاد حام بن نوح، وأن بني إسرائيل من نسل سام بن نوح، وأن وجود الكنعانيين ما هو إلا تدبير من الرب، لجعلهم حراسًا ليسلموا أرض الميعاد لبني إسرائيل، وهذا مبرر عجيب، ينم عن سلوك الكذب والافتراء، والنصوص المقدسة عندهم تقضي بتقسيم أرض إسرائيل على قبائلهم، وأن أورشليم (القدس) قدسها الرب بالهيكل على الأرض وموجودة أيضًا في السماء، ويرتبط اليهودي بهذه الأرض برباط مقدس، فحتى غبارها هو مطهر للذنوب، وأن اليهود خارج هذه الأرض هم عصاة للرب، ويعتقدون أن أرض إسرائيل تشمل البحار السبعة، وهي: بحيرة طبريا، وبحر سدوم (الميت)، وبحر إيلات، وبحر حليات، وبحر سيبكاي، وبحر اسيامي، والبحر الكبير المتوسط.

أما الأنهار الأربعة، فهي: نهر الأردن، واليرموك، وكراميون، وفيجاه أو بيجاه. ولا حدود لهذه الأرض، إنما حدودها تمتد مع امتداد كثرة سكانها من اليهود (انظر المزمور٢٤/ ٢)، ورد في سفر كتوبوت (١٢٢ب/ ٧٢٨) من التلمود «الغبار في أرض إسرائيل يؤدي إلى التوبة» وورد في المزمور ١٠٢/ ١٥ أن الربان (الكاهن) حيا بن غمدا كان يمرّغ نفسه في تراب فلسطين، وقد كونت الأساطير والخرافات التي سطرها رجال الدين اليهودي في التلمود خاصة ذات الأبعاد السياسية والجغرافية، تمحورت حول أورشليم القدس والهيكل، مما كان له الأثر الكبير في إسرائيل اليوم حين ترسم سياستها على الأرض ومباحثاتهم مع العرب والفلسطينيين، وقد ورد في سفر التكوين ٢٨/ ٣ «الأرض التي أنت مضطجع عليها، أعطيها لك ولنسلك»، وتزيد هذه الأساطير تفسير التوراة، ففي التنائيم يدعي بأن الرب قد طوى أرض كنعان وقدمها إلى إسرائيل، وهذه الأساطير وأمثالها كثيرة والتي يدور حول أرض الميعاد كان لها الأثر السياسي الكبير، حتى في وعد بلفور المشهور، وقد ورد في سفر التكوين١٢- ١ و٢ «وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت

أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلكم أمة عظيمة، وأبارك وأعظم اسمك وتكون بركة»، وفي الإصحاح ١١- ٨ و٩ يقول: «بالإيمان إبراهيم لما دعي أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيدًا أن يأخذه ميراثًا، فخرج وهو لا يعلم إلى أين؟ بالإيمان تغرّب في أرض الموعد، كأنها غريبة ساكنًا في خيام مع إسحاق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه»، وهذه النصوص لم تكتب لا في عهد إبراهيم وأولاده، ولا في عهد موسى والأسباط، وإنما كتبها الكهنة اليهود بعد الشتات، وبعد السبي البابلي، وذلك حوالي سنة ٧٠٠ قبل الميلاد، وبعد وفاة موسى بحوالي سنة ٦٠٠، حيث كانوا يُمنون أنفسهم بأرض فلسطين والرجوع إليها على ادعاء بأن الرب قد وعدهم إياها، وهذه مجرد خرافة كانت تدور في أذهان اليهود، سعوا فيما بعد لتحقيقها وفي سفر الخروج الإصحاح ٦- ٦- ٨ يقول: « قل لبني إسرائيل: أنا الرب، وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين، وأنقذكم من عبوديتهم، وأخلّصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة، أتخذكم لي شعبًا وأكون لكم إلهًا، فتعلمون أني أنا الرب إلهكم، الذي يخرجكم من تحت أثقال المصريين، وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وأعطيكم إيّاها ميراثًا أنا الرب». وفي سفر التكوين الإصحاح ١٨يقول: «وقال الرب لإبراهيم: أما أنت فتحفظ عهدي، أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. ويختن منكم كل ذكر. فتختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم».

عقاب الرب لبني إسرائيل بسبب فسادهم

إن أول إشارة وردت في التاريخ الإنساني المتعلقة بنزول آدم وحواء من جنة عدن إلى الأرض وردت في اكتشاف صورة منحوتة على الصخر عند البابليين[١].

وعند اليهود واستنادًا إلى ما ورد في التوراة والتلمود: «فإن الله عندما خلق آدم يسر له زوجته حواء للعيش في جنة عدن، ولكن الشيطان الذي اعترض على خلق آدم طرد من رحمة الله، ففي المقابل أراد الشيطان إغواء آدم وحواء، ليتسبب في إخراجهما من الجنة، فحاول الدخول إليهما من باب الجنة، ولكنه منع من ذلك، فاحتال بأن حل في

(١) د. أحمد شلبي: اليهودية، (ص١٥٦- ١٥٩).

الحية التي دخلت إلى الجنة، فقام الشيطان بالإيحاء إلى حواء بأن تأكل من الشجرة المحرمة، فأكلت منها، وأعطت آدم ليأكل أيضًا، فغضب الرب على هذه المعصية، فأنزلهما من الجنة إلى الأرض».

والقرآن الكريم يحكي ما يقارب ذلك، إلا أنه لا يخص المعصية بحواء وحدها، بل بهما معًا.

وقد تناول الفلاسفة منذ القديم هذا الموضوع، وقسموا الناس فئتين: فئة تؤمن بوجود الخالق الذي خلق الانسان ووضع فيه نوازع الخير والشر، وتركه مريدًا لا مجبرًا. فأول معصية كان جزاؤها الإخراج من جنة الخلد إلى أرض الشقاء، حيث تمت فيها أول معصية القتل التي قام بها قابيل لأخيه هابيل، ويرى الفلاسفة أن كل قوم أو فرد يرى الخير أو الشر بمقياسه وميزانه الخاص، أما الفئة الثانية من البشر فهي التي رفضت الاعتراف بوجود خالق ووجود جنة ونار سيتم فيها الثواب والعقاب في يوم الحساب.

وبعض الفلاسفة وعلماء النفس يعتبرون الجنين في رحم أمه كأنه في جنة عدن، ولكن حينما تبدأ عضلات الرحم بالضغط عليه لإخراجه يبدأ بالبكاء، معتبرًا أن تلك عقوبة لا يعرف سببها، وعند الكبر يتمسك ويود الرجوع إلى جو يشبه الرحم في توفير السلام وجميع الحاجات، ويرون أن كثيرًا من الشعوب تعتقد بأن رجوع الجسد الإنساني إلى الأرض نوع من الاشتياق إلى الرحمة والرحم، وقد حاول الكاتب عباس إبراهيم مزهر تطبيق ما سلف من الناحية النفسية على اليهود بالنسبة إلى موضوع الخروج (من الجنة) كعقاب لهم، ثم توبتهم، وأن الله قد وعدهم بالرجوع إلى أرض الميعاد (الجنة)، فقد حلل وجود اليهود في أرض فلسطين بأنه يشبه الإقامة في الجنة، ولكن ذنوبهم الكثيرة وخاصة قتل الأنبياء وفعل الشر بمناسبات كثيرة، أشارت إليها نصوص التوراة، «فعلوا الشر بعيني الرب ولهذه الخطيئة سلط الرب عليهم آشور»، (الشعب الآشوري القادم من العراق)، حيث هُدم الهيكل وسبى اليهود، فأخرجهم من جنتهم حيث بدأت مدة الحنين في الشتات بالرجوع إلى أرض الميعاد (جنة عدن)، وبعد رجوعهم واستقرارهم نُعموا بالسلام تحت

الحكم الروماني، ولكنهم قتلوا الأنبياء الذين ظهروا في تلك الحقبة، مثل زكريا ويحيى، ثم آذوا مريم ورموها بأبشع الشرور، وساقوا نبي الله عيسى إلى الصلب، وهذه الشرور وغيرها سلطت عليهم الرومان في عهد (طيطوس)، فهدم أورشليم وطرد جميع اليهود من فلسطين فتشتتوا في الأرض مرة أخرى وأخذوا يحلمون بالرجوع إلى أرض الميعاد (الرحم أو الجنة)، إلى أن تعاهدت الصهيونية العالمية بتحقيق هذا الحلم وإقامة دولة اسرائيل[١].

وأورد الكاتب نص أشعيا ٦٠٥ / ١٠ «ويل لآشور، قضيب غضبي، والعصا في يدهم هي سخطي، على أمة منافقة أرسله، وعلى شعب سخطي أوصيه، ليغتنم غنيمة، وينهل نهبًا، ويجعلهم مدوسين كطين الأزقة».

وفي أرميا /٢٧ /٩٠٨ «ها أنا ذا أرفع هذه المدينة- القدس- ليد ملك بابل، فيحرقها بالنار، وأجعل مدن يهوذا خربة بلا ساكنين».

وورد في حزقيال/ ٥/١٦٠٥ «وهكذا قال السيد الرب: هذه أورشليم.... فخالفت أحكامي، لأجل ذلك يأكل الآباء الأبناء في وسطك، والأبناء يأكلون آباءهم، وأجري أحكامًا، وأذري بقيتك كلّها في كل ريح، وأجعله خرابًا وعارًا بين الأمم التي حواليك أمام عيني كل عابر، فتكون عارًا وتأديبًا دهشًا للأمم التي حواليك.... أنا الرب تكلمت».

وورد أيضًا في أرميا/ ٢٣/٤٠٣٩ «لذلك ها أنا ذا أنساكم نسيانًا، وأرفعكم من أمام وجهي، أنتم والمدينة أورشليم، التي أعطيتكم وآباءكم إياها، وأجعل عليكم عارًا أبديًّا وخرابًا أبديًّا لا ينسى».

وكل هذه النصوص تلخص الحقيقة التاريخية، التي تدل على الفساد والشرور، التي فعلها اليهود في فلسطين، فاستحقوا بذلك غضب الرب، فسلط عليهم من طردهم إلى الشتات.

(١) عباس إبراهيم مزهر: زلزال في أرض الميعاد، (ص ٢٦٠)، بيروت سنة ٢٠١٢م، دار ومكتبة البصائر.

أصل الجنس اليهودي

تشير أبحاث علماء الاجتماع والأجناس وعلماء التاريخ من الشرقيين أو الغربيين إلى أن اليهود عبارة عن أجناس مختلفة، يتحدد جنسها بالزمن الذي ظهرت فيه، وبالمكان الذي تكونت فيه تلك المجموعات اليهودية، وعلى هذا الأساس يمكن استعراض الجنس اليهودي، مقسمًا حسب الزمان والمكان كما يأتي:

١. الذين عبروا نهر الفرات مع نبي الله إبراهيم متجهين إلى أرض كنعان في حدود سنة ٢٢٠٠ ق.م تقريبًا كانوا من الأكاديين من وادي الرافدين، وهؤلاء من الجنس السامي.
٢. اختلط أولئك الساميون بالكنعانيين سكنة أرض فلسطين وما حولها، وأصبحوا جنسًا ساميًا؛ لأن الكنعانيين من الأقوام السامية نزحت من الجزيرة العربية، (الألف الرابع قبل الميلاد)، وتتحدد هذه الحقبة تقريبًا ما بين ٢٢٠٠ق.م إلى ١٣٠٠ ق.م. فكانت حياتهم يغلب عليها البداوة والرعي والتنقل، وفي هذه الحقبة تكونت اللغة العبرية بينهم، وهي من أصول اللغة الآرامية، التي كانت لغة الأقوام الذين قدموا من وادي الرافدين إلى أرض كنعان، فامتزجت هذه اللغة باللغة الكنعانية المحلية، وأنتجت ما يسمى باللغة العبرية.

وغلب على هذا الجنس في آخر هذه المدة بنو إسرائيل من نسل يعقوب، وهم الذين هاجروا إلى مصر الفرعونية.

٣. الإسرائيليون الذين دخلوا مصر بعد نبي الله يوسف بن يعقوب اختلطوا بالمصريين الفراعنة، وعملوا في الفلاحة، واستغلهم الفراعنة عبيدًا وخدمًا أذلاء. ولكون الفراعنة المصريين من جنس سامي فيمكن القول باستمرارية الجنسية السامية، برغم الاختلاط بين بني إسرائيل والمصريين الفراعنة.
٤. مدة خروج بني إسرائيل من مصر سنة ١٣٥٠ ق.م. تقريبًا، وسكنهم في سيناء في هذه المدة اختلطوا مع المديانين، وتأثروا بهم، ولكون المديانيون شعبًا ساميًا أيضًا، فيمكن القول باحتفاظ المجموعة اليهودية بجنسها السامي حتى هذا التاريخ.

٥. زحف يهود بني إسرائيل على بلاد كنعان وحروبهم واستيلائهم على كثير من المدن، وأهمها أورشليم بقيادة وصي موسى يوشع بن نون في حدود سنة ١٣٠٠ ق. م. تقريبًا.

٦. منذ عهد الملوك سنة ١٠٩٥ ق.م. تقريبًا إلى سنة ٥٩٣ ق.م. تقريبًا انقسمت إسرائيل إلى دولتين: يهوذا والسامرة. ويمكن القول في بقاء غالبية اليهود في هذه المدة على جنسها السامي.

٧. مدة السبي البابلي وشتات اليهود ما بين ٥٩٣ ق.م. تقريبًا إلى ٧٠ ميلادية، حيث اختلط الإسرائيليون اليهود في هذه المدة بجنسين، وهما البابليون من الجنس السامي وبالفرس من الجنس الآري، ويمكن القول في هذه المدة بدخول كثير من الفرس للديانة اليهودية، خاصة في مدن الفرس التي استوطنها اليهود مثل مدينة مأخوزا ومدينة شكنزب.

٨. مدة إرجاع اليهود من العراق إلى فلسطين بقوة الملك الفارسي كورش سنة ٢٠٠ ق. م. إلى ٧٠ ميلادية تقريبًا، وفي هذه المدة أعاد اليهود بناء الهيكل، ويمكن القول: إن جنس الآري من الفرس المتهودين أدخلوا لأول مرة اختلاط الجنس الآري بالجنس السامي، وإن كان على شكل محدود.

٩. مدة الشتات لليهود وضياعهم في أصقاع الأرض، حيث يمكن تتبع أهم مجموعاتهم كما يأتي:

أ. **المجموعة التي سكنت يثرب**

هذه المجموعة عبارة عن قبائل مختلفة من بني إسرائيل، ومن أقوام اختلطت بهم من أجناس مختلفة، وقد جاؤوا إلى يثرب بعد الغزو البابلي لأرض فلسطين، كما تقدم إلى أن أخرجوا من يثرب بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ٨ هجرية، وهم بنو قينقاع داخل المدينة وبنو النظير وبنو قريظة خارج المدينة ويهود خيبر ووادي القرى، وغالبية هؤلاء من الجنس السامي الذي لا يبعد اختلاطه بالجنس الآري الفارسي كما تقدم، وقد دخل فيهم عرب من قبائل عربية شتى تحالفت معهم.

ب. **يهود اليمن**

هناك عدد من الآراء في أصل يهود اليمن، فمنهم من قال: إنهم جاؤوا مع

بلقيس ملكة سبأ من فلسطين في حدود ١٠٦٠ ق.م تقريبًا بعد زيارتها إلى الملك سليمان، ومنهم من قال: إنهم جاؤوا بعد هدم نبوخذ نصر للهيكل سنة ٥٩ ٣ ق.م. تقريبًا هاربين من الجيش الآشوري.

وهناك نظرية ثالثة تقول: إنهم جاءوا من فلسطين سنة ٧٠ ميلادية تقريبًا بعد غزو الرومان لفلسطين، وتشير الدراسات إلى أن ملك اليمن الحميري ذا نواس قد تهود، فانتشرت اليهودية في حِمْيَر، وتشير المصادر العربية إلى ما يسمى متهودة العرب في اليمن، فإذا أضفنا إلى حقيقة اختلاط الجنس الفارسي وحكم فارس لليمن قبل الإسلام أدركنا صعوبة احتفاظ يهود اليمن بجنسهم الأصلي السامي، إضافة إلى أن النفوذ الحبشي كان واضحًا على اليمن، ممثلًا بإسناد من الإمبراطورية الرومانية المسيحية، وقد أدى الصراع بين تلك الأطراف إلى ضعف العنصر اليهودي اليمني، خاصة في نجران بعد حادثة الأخدود المشهورة.

ج. **يهود الخزر**

أما يهود الخزر فقد أثبت العلماء أن أصلهم من جنسٍ قوقازي وتركي، وقد اعتنق ملك الخزر الديانة اليهودية في القرن الثامن الميلادي، واستمرت هذه المملكة اليهودية الخزرية إلى آخر القرن العاشر الميلادي، وقد علل بعض العلماء اعتناق هذه المملكة لليهودية لرغبتها في البقاء على الحياد بين ضغط الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الإسلامية، وكانت هذه المملكة تمتد من نهر الفولجا إلى بحر قزوين والبحر الأسود، فانتشر يهود الخزر في كل من لتوانيا وأوكرانيا والقرم والمجر وبولندا، حيث استولت الدولة الرومانية في القرن الثالث عشر على هذه المناطق.

ويؤكد العلماء أن غالبية يهود أوروبا هم من يهود الخزر الذين انتشروا في شرق أوروبا، وأن هؤلاء هم من جنسٍ آري لا علاقة له بالجنس اليهودي السامي، وهؤلاء اليهود يمثلون القوة الأساسية في يهود إسرائيل اليوم، ويسمونهم بالأشكيناز الذين يحكمون إسرائيل اليوم، خلافًا ليهود الشرق وإفريقيا (السفارديم)، الذين يعملون في الوظائف الدنيا.

د. **يهود إمارة حدياب شمال العراق**

وهي المسماة اليوم بالعمادية، وقد تأسست في القرن الأول الميلادي من قِبل بعض يهود بابل، وامتد نفوذها إلى نصيبين وحران وماردين وجزء من أرمينيا، حيث اعتنق ملك حدياب (إبراط) وأمه هيلانة الديانة اليهودية بتأثير من اليهود القادمين من بابل، وكانت هذه الإمارة تحت نفوذ الدولة البرثية الإيرانية ومركزها طيزفون، وامتد نفوذ الإمارة اليهودية ثمانين سنة، إلى أن غزاها الإمبراطور الروماني (تراجان ١١٥م -١١٦م ميلادية)، ويذكر العلماء أن سكنة هذه الإمارة هم من الأرمن الذين اعتنقوا اليهودية بسبب انتشارها في هذه المنطقة وفي هذه الحقبة، وتحول اليهود الأرمن هؤلاء إلى المسيحية وفي مدة متأخرة عاشوا في ظل الحكم الساساني الإيراني إلى ما قبل الفتح الإسلامي، وقد بقيت في هذه المنطقة شراذم من اليهود متفرقة حتى القرن الثاني عشر الميلادي، ويقر العلماء بأن غالبية هؤلاء اليهود كانوا من الجنس الأرمني الآري، ولا علاقة لهم بيهود الجنس السامي، واليهودية دخلت إليهم عن طريق التبشير من تجار يهود بابل.

هـ. **يهود مصر**

يشير المؤرخون إلى أنهم من أجناس شتى، فمنهم آدوميون وعموريون وبابليون وحيثيون وعمونيون دخل أكثرهم اليهودية عن طريق التبشير، لا عن طريق الرحم اليهودي، الذي يدعي به اليهود.

و. **يهود الفلاشة وشمال إفريقيا**

وهؤلاء اليهود من أجناس مختلفة ومختلطة فيما بينها، فمنهم من قبائل عربية، ومنهم من البربر، ومنهم من الأفارقة ذوي البشرة السمراء وشعر الرأس (الأكراد)، وقد نزحوا اليوم إلى إسرائيل يعملون في الأعمال الدنيا.

ز. **يهود إسبانيا**

يعدون في غالبيتهم من الجنس الإسباني المحلي، الذي اعتنق اليهودية عن طريق يهود المغرب من التجار والمهاجرين منذ القرن الخامس الميلادي، وقد

تعرض يهود الإسبان إلى الاضطهاد وإجبارهم على الدخول في النصرانية خاصة في عهد القوط المتعصبين إلى الكنيسة، ولما جاء الفتح الإسلامي إلى الأندلس اعتبر يهود الأندلس الفاتحين المسلمين منقذين لهم من اضطهاد نصارى الإسبان، وعلى أي حال فإن غالبية يهود إسبانيا هم من الجنس الآري الإسباني، واعتنقوا اليهودية عن طريق التبشير لا عن طريق الرحم، ومن الجدير بالذكر أنه بعد سقوط الحكم العربي الإسلامي في الأندلس، قام نصارى الإسبان بطرد اليهود مع العرب سوية، وقد ذهب غالبية يهود الإسبان هؤلاء إلى تركيا العثمانية، وسموا بيهود الدونمة[١].

اليهود في الجزيرة العربية قبل الإسلام

هنالك إشارة وحيدة في التوراة (الأسفار) أن قبيلة بني شمعون قد نزحوا من موطنهم إلى الجزيرة العربية، مرورًا بصحراء سيناء مختلطين بقبيلة معان، ويؤرخ بعضهم هذه الهجرة سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد على خلاف بين الباحثين، وذكر أن جماعة من اليهود بعد السبي البابلي من قبل ملك آشور في القرن الخامس قبل الميلاد نزحوا إلى الجزيرة العربية، واستوطنوا يثرب حيث تغلبوا على من فيها من العماليق، وحلوا محلهم في الزراعة، وكل ما ذكر على خلاف في تفاصيل في الروايات التي ذكرها المؤرخون، ومن الجدير بالذكر أن المؤرخ اليوناني استرابو الذي رافق الجيش الروماني الفاتح لبلاد عسير قبل الإسلام ذكر من القبائل قبائل معان وعاصمتها قرن، وقبائل سبأ وعاصمتها مأرب، ودولة ثمنا، وكانت في جهة باب المندب، ومملكة حضرموت وعاصمتها شبوة، حيث كان في هذه المناطق تجمعات من بني إسرائيل هاجروا إليها في ظروف تاريخية مختلفة.

وفي سنة ٧٠ بعد الميلاد هاجمت الجيوش الرومانية مملكة يهوذا والسامرة، فهدموا أورشليم، وفر اليهود مهاجرين إلى أصقاع مختلفة، فمنهم من ذهب إلى العراق، ومنهم

(١) عباس إبراهيم مزهر، مصدر سابق، (ص ٣٩٣).

من ذهب إلى اليمن، ومنهم من ذهب إلى يثرب، حيث ذكر الطبري في تاريخه: أن بني قريظة وبني قينقاع وبني بهدل نزحوا من الشام إلى يثرب بعد ظلم الرومان لليهود[١].

ولكن اليعقوبي في تاريخه يذكر: أن يهود يثرب تسموا بأسماء الأماكن التي نزلوا فيها، وأن أغلبهم كانوا من أصول عربية، وليسوا من أصول يهودية، ويرى أن بني النضير هم فخذ من جذام فتهودوا ونزلوا جبلًا يدعى النضير، وكذا بنو قريظة نزلوا جبل قريظة[٢]، وقد أقاموا الحصون والآطام ليتحصنوا بها عن هجمات الأعداء، فمن هذه الحصون: حصن الأبلق لجد الشاعر السموءل ابن عادية، وحصن القمومي لبني أبي الحقيق، وحصون السلالم والوطيح وناعم لسعد بن معاذ، ويرى المؤرخ السمهودي في كتابه عن المدينة أن اليهود كانوا أكثر من عشرين قبيلة، تفرقوا في خيبر وفي وادي القرى، واشتغلوا في الزراعة، وصناعة السيوف والدروع، وصياغة الذهب، وتعاملوا بالربا، واتصلت تجارتهم بالشام واليمن، أما لغة الحديث بينهم فممتزجة بين العربية والعبرية، ومن أحبار اليهود الذين دخلوا الإسلام كعب الأحبار وعبدالله بن سلام.

علاقة العرب بيهود يثرب

تشير المصادر التاريخية إلى أن يهود يثرب قد نزلوها قبل غيرهم من العرب، ولكن بطن الأوس والخزرج، وهم من قبيلة الأزد اليمانية نزلوا على اليهود في يثرب بمجموعات متفرقة على مدى من الزمن، يبدو واسعًا. وقد قيل: إن سبب خروج الأوس والخزرج وهجرتهم من اليمن (مأرب) هو انهيار سد مأرب، وحدوث سيل العرم، الذي أشار إليه القرآن الكريم، وعلى أصح التحقيقات يبدو أن وقت هذه الهجرة كان قد بدأ قبل قرن من ظهور الإسلام، وتذكر الروايات أن الأزد الذين خرجوا من اليمن اتجه بعضهم إلى عمان، واتجه آخرون إلى بلاد الشام (الغساسنة) كما اتجه بعضهم إلى إمارة الحضر وإمارة المناذرة في العراق (مملكة الحيرة)، فكان لليهود في بداية الأمر السيادة على يثرب، ولكن شيئًا فشيئًا تمكن الأوس والخزرج من مزاحمة اليهود على أعمالهم ومكاسبهم.

(١) انظر: كتابنا أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة (يهود اليمن).

(٢) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، (ص ٩)، مطبعة الاعتماد بمصر ١٩١٤م.

ويذكر بعض المؤرخين أزمانًا من العداء بين الطرفين، منها ما ذكره السمهودي: أن الفطين (ملك اليهود) كان يدخل بالعروس الأخدود إلى زوجها إلى أن تمكن مالك بن عجلان من قتله، والذهاب إلى ابن جبيلة من ملوك غسان، شاكيًا مظالم اليهود لبني جنسه من الأزد، وقيل: إنه تم تدبير مكيدة لبعض رؤوس اليهود، الذين قدموا لزيارة ابن جبيلة، حيث قتلوا جميعًا، وبدأ نفوذ اليهود يضعف أمام الأوس والخزرج، حيث اضطر بعض اليهود إلى التحالف مع أحياء من الأوس والخزرج، ويبدو أن ملوك الغساسنة من آل جفنة (وهم من الأزد) راغبون في تنفيذ وكسر شوكة يهود يثرب، ليس فقط انتصارًا لبني قومهم من الأوس والخزرج، بل أيضًا انسجامًا مع رغبة الإمبراطورية الرومانية، وما تحمله من دوافع نصرانية ضد اليهود، وذكر السمهودي في كتابه عن تاريخ المدينة: أن مالك بن العجلان شكا إلى ملك اليمن (تُبَّع الأصغر) مظالم اليهود للعرب، وكان تُبَّع هذا تحت نفوذ ملك الحبشة النصراني، فتعهد تُبَّع بأن يذل اليهود.

والحقيقة أن اليمن في تلك الحقبة كان نهبًا بين السيادة الإيرانية اليهودية والسيادة الرومانية النصرانية، فقد انتشرت اليهودية في بلاد حِمْيَر، وقيل: إن الملك ذا نواس اعتنق اليهودية، وسار بجيشه إلى نجران، وعمل فيها المقتلة المشهورة للنصارى، وحرقهم في الأخدود.

وبعد هذه الحادثة قامت الحبشة بقيادة أبرهة للانتصار للنصرانية في نجران، وقتل اليهود فيها، ثم مسير أبرهة بجيشه لاحتلال مكة على ما هو مشهور.

وكانت العلاقة بين أبناء العمومة الأوس والخزرج جيدة، ولكنها تكدرت في حرب يوم بعاث (قبل خمس سنوات من الهجرة)، فقد حصل سوء تفاهم بين سيِّدين من الأوس والخزرج، فكان سيد الأوس أبو قيس ابن الأسلت الوائلي قد تحالف مع يهود بني قريظة وبني النضير، فخافت الخزرج من أن ينتصر اليهود للأوس، ولتطمينهم طلب الخزرج من اليهود تأمينًا من أبنائهم، فأرسل اليهود أربعين شابًّا تفرقوا في أحياء الخزرج بوصفهم رهائن، وهدد الخزرج اليهود بأن يتحالفوا مع بعض العرب المجاورين، كيدًا لحلف الأوس مع اليهود، وطالب الخزرج اليهود بترك منازلهم، وإلا قتلوا الرهائن، وطالبوا اليهود بأن

ينبذوا التحالف مع الأوس فامتنعوا عن ذلك، فقتل الخزرج أكثر الرهائن، إلا أن بعضهم قد أطلق ما تحت يده من الرهائن، فنشبت الحرب بين الأوس والخزرج، وانتصر بنو النضير وبنو قريظة للأوس، فكان يوم بعاث يوم انكسار الخزرج، وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم حاول بعض اليهود أن يحدث فتنة بين الأوس والخزرج، حينما ذكر يوم بعاث، وما دار حوله من أشعار، فتنادى القوم للحرب، لولا أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج إليهم وخطب فيهم موعظة هدأت النفوس الثائرة.

ومن الجدير بالذكر أن يهود بني قينقاع قد مالوا مع الخزرج يوم بعاث، فتولى بنو النضير وبنو قريظة تأديبهم والانتقام منهم.

وكان من نتائج هذه الحرب أن استقر رأي أكثر الأطراف من الأوس والخزرج واليهود على تنصيب عبدالله بن أُبَي ملكًا عليهم، لتمسكه بالحياد وإطفاء شرور الحرب، ولكن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب أوقفت هذا التوجه، فما كان من عبدالله بن أبَي إلا أن يكون على رأس المنافقين برغم دخوله الإسلام حاقدًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المهاجرين.

علاقة العرب بيهود الحجاز

إن وجود اليهود وخاصة في يثرب مدة طويلة وانتشار بعضهم للسكن في مكة وتيماء ووادي القرى مدة طويلة أحدثت علاقة بين الطرفين بالرغم من اختلاف الديانة الوثنية عن الديانة اليهودية، ويمكن تلمس هذه العلاقة بإيجاز بالنقاط الآتية:

١. ظهر بين اليهود كثير من الشعراء الذين شاركوا بشعرهم العربي في الأحداث والعلاقات بين الطرفين، سواء كانت في الاتجاه السلبي أو الإيجابي، ويشهد على هذا ما خلفه لنا شعر السموءل ابن عادية اليهودي، الذي كان يسكن قصر الأبلق في تيماء، وكذا شعر كعب بن الأشرف اليهودي في يثرب، وغيرهم كثير من شعراء اليهود.
٢. كان العرب وحتى المسلمين بعد الإسلام يعدون اليهود (أهل العلم الأول)، وينظرون إليهم نظرة احترام لما بأيديهم من كتاب سماوي، والقرآن الكريم

مليء بمواضع كثيرة في مدحهم وذمهم، وهذا يدل على علاقة فكرية كبيرة بين الطرفين.

٣. إن الطرفين كليهما من أصل سام، يجمعهم إبراهيم الخليل، فاليهود هم أولاد إسرائيل (يعقوب)، والعرب من أولاد إسماعيل، ولغة الطرفين متشابهة مع بعضها في التكوين، مما دفع بعضهم إلى القول بأن اللغة السامية (المفترضة) تجمع بين الطرفين.

٤. يقال: إن فكرة النسأة (الزيادة) الموجودة عند اليهود بإضافة سبعة شهور قمرية على تسع عشرة سنة قمرية، حتى تكون الجميع تسع عشرة سنة شمسية، فيقال: إن العرب أخذوا هذه الفكرة أيضًا لحساب تعداد سنواتهم، خاصة الأشهر المتعلقة بالأشهر الحرم، التي أثبتها القرآن الكريم بعد ظهور الإسلام ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ التوبة: ٣٦.

كما قيل: إن العرب قد استعاروا اسم يوم السبت من اليهود، وكذلك كانوا يسمون يوم الجمعة يوم عروبة، كما قيل: إن تقليد العرب في نفرة الحج كانوا ينتظرون الإشارة من صوفة، وتعني بالعبرية (الحارس) تؤقت لهم وقت النفرة من عرفات إلى مزدلفة قبل الإسلام، وأن هناك في اليهودية ما يشبه هذا العمل بالنسبة إلى توقيت بعض الشعائر اليهودية، كما قيل: إن (منى) كان اسمًا لإله الخمر عند اليهود، حيث ورد اسمه في سفر أشعيا.

علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين بيهود يثرب

يمكن أن نختصر هذه العلاقة بالنقاط الآتية:

١. لم يكن في مكة حين البعثة من اليهود إلا أفرادًا يمرون لأغراض تجارية، وقد ذكر أن شاعر اليهود كعب بن الأشرف جاء إلى مكة يعزي قريشًا بشعره بعد انكسارهم في معركة بدر، كما ذكر أن بمكة عبدًا يهوديًّا اسمه عبدالدار بن حبر أسلم، فضربته قريش، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم أعتقه هو وزوجته.

٢. بعد رفض قريش دعوة الرسول وكذلك رفض أهل الطائف لم يستجب من أهل مكة إلا قلة مضطهدة اضطرت للهجرة إلى الحبشة، ولكن قومًا من الخزرج قدموا من يثرب، فالتقى بهم الرسول صلى الله عليه وسلم في العقبة، فعرض عليهم الإسلام فوجدوا فيه بغيتهم واستعدادهم لاعتناقه (بيعة العقبة الاولى)، فيرى بعض الباحثين أن موافقة الخزرج للدخول في الإسلام رغبة منهم متأثرين بما سمعوه من يهود يثرب من تعاليمهم، ومن تنبئهم بظهور النبي الجديد، هذا من جهة ومن جهة أخرى أرادوا من يعضدهم بعد انكسارهم يوم بعاث.

وقد حاولت قريش استخدام يهود يثرب ضد دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن بيعة العقبة الثانية التي كان فيها بعض بطون الأوس قد فتحت الباب للإسلام للدخول في يثرب، مبشرًا به مصعب بن عمير قبل الهجرة، ومع أن بني قريظة كانوا قد تحالفوا مع الخزرج، ونالتهم الهزيمة يوم بعاث على يد الأوس وبني النضير.

وبعد الهجرة تحالف اليهود مع قريش ضد المسلمين في معركة الأحزاب، وكان أكثر يهود يثرب رافضين للإسلام، يقودهم كعب بن الأشرف من بني قريظة، وكذلك فعل ابن أُبَي، أما عبدالله بن سلام ومخيريق فقد كانوا من أقرب اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم إضافة إلى كعب الأحبار.

وبعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب كان يأمل دخول اليهود في الإسلام لأنهم أهل التوحيد، ويؤمنون بما جاء به موسى عليه السلام، وفي بادئ الأمر يبدو أن اليهود قد رحبوا بالنبي ودعوته طمعًا في استعلائهم على مكة، وأخذ مركزها التجاري؛ ولهذه المعطيات عقد معهم معاهدة ودية، كان أهم ما ورد فيها: «... وإن من تبعنا من اليهود فإن النصر والأسوة غير مظلومين ومتناصرين عليهم.... وإن اليهود ينفقون ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين....لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.... وإن عليهم النصر لمن داهم يثرب.... »[1].

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي (٢/٤٩-٥١) (طبع ليدن).

وينتظم اليهود في يثرب على شكل طوائف تتجمع حول الحويلي: آطام في رؤوس الجبال، حيث يجمع فيها المحاصيل الزراعية والسلاح، وكل ما هو ثمين عند الطائفة ورئيسها، وفي أسفل الجبل تكون الزراعة والنشاط التجاري، فكانوا يلجؤون إلى الحصون والآطام إذا ما داهمهم العدو، ولم يكن اليهود على كلمة واحدة، بل كانوا متفرقي الأهواء والولاءات، مما صعب معه اندماجهم ودخولهم في الإسلام، بل مناصبة الإسلام العداء بعدئذٍ.

ويمكن تقسيم موقف اليهود في النهاية من المسلمين كما يأتي:

١. يهود بني قينقاع

كانوا يسكنون داخل المدينة وكان احتكاكهم مع المسلمين كثيرًا، فازدادت المناقشات الدينية بينهم، وقد سجل القرآن الكريم كثيرًا من هذه المناقشات وعنف اليهود على أسئلتهم التي قُصد بها إحراج الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ومن أمثلة ذلك تغيير القبلة في الصلاة، وكان الخزرج أشد الناس عداءً لليهود، وخاصة ما بَدَرَ من المنافقين الذين يقودهم عبدالله بن أبي، ولكن بعد انتصار المسلمين في معركة بَدْرٍ عرض المسلمون الإسلام على يهود يثرب (خاصة بنو قينقاع) أو الجلاء عنها، فرفض يهود بنو قينقاع الساكنين داخل يثرب دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم الدخول في الإسلام، فقرر الرسول إجلاءهم عن المدينة، ولم ينتصر لهم اليهود الآخرون، بسبب أن بني قينقاع كانوا مع الخزرج يوم بعاث، كما ذكرنا سابقًا، في حين كان بنو النضير وبنو قريظة مع الأوس، وكان يهود بني قينقاع يعتقدون أن الخزرج يمنعون المسلمين من قتالهم، ولكن الخزرج لزموا الصمت ما عدا عبدالله بن أبي الذي طالب الرسول صلى الله عليه وسلم بالإحسان إليهم؛ لأنهم من مواليه، فحاصر المسلمون بني قينقاع خمس عشرة ليلة، نزلوا بعدها على حكم الرسول في إجلائهم، فذهب أكثرهم إلى أذرعات في الشام[١].

(١) ابن هشام: السيرة، (ص ١١٤).

٢. يهود بني النضير

كانوا يسكنون خارج المدينة، وهم أهل نخيل وزرع، واتخذوا لهم آطامًا في التلال القريبة لتحميهم من الغزوات ولما جاءت قريش لمعركة أُحد خرج المسلمون لملاقاتهم، وفي الطريق رجع رأس المنافقين عبدالله بن أُبي في كثير من أتباعه من الخزرج، وكان المسلمون يأملون بأن يدخل اليهود وخاصة بنو النضير معهم لقتال قريش، ولكن المعاهدة بين الطرفين تنص على مناصرة المسلمين إذا هوجموا من عدو داخل المدينة، وكان كعب بن الأشرف زعيمًا لبني النضير، وكان يحمل العداء للرسول وللمسلمين، ويميل إلى قريش ضد المسلمين، فقد رثى قتلى بدر من المشركين، فدبر له المسلمون من يقتله في بيته، وقيل: إن المعاهدة مع بني النضير تقضي أن يقاتلوا قريشًا يوم أحد مع المسلمين، ولكنهم رفضوا بدعوى أنه كان يوم سبت لا يصح فيه القتال عندهم، إضافة إلى أنه قد ذُكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ذهب مع بعض المسلمين إلى بني النضير طالبًا أن يدفعوا فدية أحد القتلى، تنفيذًا للمعاهدة معهم، وكان جالسًا تحت حائط فتآمر عليه بعضهم بإلقاء حجارة من فوق حائط وقتله، فلما عرف بهذه المؤامرة تركهم، فقرر المسلمون إجلاء بني النضير أيضًا، فحاصر المسلمون بني النضير.

وقيل: إن عبدالله بن أُبي وجماعته كاتبوا يهود بني النضير، ووعدوهم أن ينصروهم ضد المسلمين، ولكنهم لم يفعلوا، فطلب بنو النضير النجدة من يهود بني قريظة فردوا عليهم بالنفي؛ لأن بينهم وبين الرسول معاهدة تمنعهم من ذلك، فالتجأ بنو النضير إلى آطامهم وحصونهم، فقطع المسلمون بعض نخيلهم، وبعد الحصار نزل بنو النضير على حكم الرسول بإجلائهم وحقن دمائهم، وأن لهم ما تحمله إبلهم من متاع، فسار بعضهم إلى يهود خيبر، ورحل الأكثرية إلى الشام، وبهذا تشير سورة الحشر في القرآن الكريم إلى إجلاء بني النضير، ولم يدخل في الإسلام من بني النضير إلا اثنين، وهما (يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب)[1].

(١) الطبري: تاريخ، (١٥٨/٣).

٣. يهود بني قريظة

إن بعض أشراف بني النضير نزلوا على يهود خيبر، منهم (سلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع)، ثم ذهب هؤلاء إلى قريش بمكة طالبين النصرة ضد المسلمين، ثم ذهب هؤلاء إلى قبيلة غطفان ليتحالفوا معهم ضد المسلمين، وأخبروهم بتحالفهم مع قريش؛ ففي شوال من السنة الخامسة للهجرة حصلت معركة الخندق التي حاصرت فيها عدة أحزاب المدينة مع قريش بعشرة آلاف وغطفان، ويهود بني قريظة ويهود خيبر، فحفر المسلمون الخندق حول المدينة، وأرسلوا من يخذل غطفان ويعدهم ببعض من تمور المدينة، وقام حيي بن أخطب زعيم بني قريظة بإقناع قومه بالانضمام إلى الأحزاب التي حاصرت المدينة، وأن ينبذوا المعاهدة التي كانت بينهم وبين المسلمين، برغم أنه في البداية كان رافضًا الحصار بحجة احترامه لما عاهد عليه المسلمين، فبعد انسحاب غطفان من حصار المدينة دبَّ الخلاف بين زعماء الأحزاب، فقد طالب بنو قريظة القرشيين برهائن من الرجال نظير دخولهم الحرب، وفي النهاية جاءت ريح باردة على الأحزاب فرقتهم وانخذل زعماؤهم، فرجعت قريش إلى مكة، وأخيرًا انضم يهود بني قريظة إلى الأحزاب المحاصرة للمدينة، ونقضوا المعاهدة التي كانت بينهم وبين المسلمين، فلما انفضَّت الأحزاب عن المدينة، ودب بينها الخلاف، ورجعت قريش إلى مكة تجهز المسلمون حالًا للمسير لحرب بني قريظة، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم للمحاربين: «لا تصلُّوا العصر إلا في بني قريظة»[(١)].

فحاصر المسلمون بني قريظة وهم في آطامهم خمسًا وعشرين ليلة، فلما أجهدهم الحصار نزلوا من آطامهم، واستسلموا للقتل يتقدمهم زعيمهم حيي بن أخطب وكعب بن أسد، فقد كان هذا القتل من حكم سعد بن معاذ زعيم الأوس، برغم كونهم كانوا حلفاء للأوس يوم بعاث، فكانوا يأملون بأن يحكم عليهم بالجلاء، ولكن نتيجة خيانتهم لعهدهم حكم على مقاتليهم بالقتل -وسبي نسائهم- وأخذ أموالهم، وقد نصحهم زعيمهم كعب بن أسد الدخول في الإسلام، كي يحموا أنفسهم من القتل، ولكنهم رفضوا ذلك ما عدا أربعة منهم دخلوا الإسلام، وقد قسم الرسول صلى الله عليه وسلم أموال بني قريظة

(١) أخرجه البخاري (٢/١٥ رقم٩٤٦)، ومسلم (٣/١٣٩١ رقم١٧٧٠).

على المهاجرين؛ لأنهم في حاجة، واستبقى لبيت المال الكثير، وقد اصطفى من نساء بني قريظة ريحانة بنت زيد فتزوجها، وقد ماتت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد سجلت سورة الأحزاب في القرآن الكريم ما حصل لبني قريظة على يد المسلمين[١].

٤. يهود خيبر

أحس يهود خيبر أن الدائرة ستدور عليهم، خاصة وأنهم اشتركوا في تحريض قريش يوم الأحزاب، فكان زعيمهم سلام بن مشكم يجهز لمحاربة المسلمين، فبادر المسلمون بقتل زعماء يهود خيبر، وهما سلام بن أبي الحقيق واليسير بن رزام، وقد كان يهود خيبر قد اشتركوا مع الأحزاب في حصار المدينة ضد المسلمين، فلما أمن المسلمون من قريش بعد صلح الحديبية تجهزوا لمعركة خيبر في المحرم من السنة السابعة للهجرة، وقد رفض يهود خيبر الدخول في الإسلام شأنهم شأن بقية اليهود، وقد شارط يهود خيبر قبيلة غطفان أن يدخلوا معهم ضد المسلمين شريطة نصف الثمار، فلما شاهدت غطفان جموع المسلمين المتجهة إلى خيبر أصابها الذعر والذلة، فرجعوا عن الحرب، وزحف المسلمون على حصون خيبر بدءًا من حصن نطاة، حيث دارت حوله أول معركة، توفي فيها زعيمهم اليهودي سلام بن مشكم، وقد كان مريضًا، وفتح المسلمون هذا الحصن، ووجدوا فيه الكثير من الطعام والسلاح، ثم انتقلوا لحصار حصن ناعم، فقاتل اليهود بقيادة الحارث بن أبي زينب، حيث قُتل وفُتح الحصن بعد استعصائه يومًا على أبي بكر الصديق واستعصائه على عمر بن الخطاب ومن معه، وفي اليوم الثالث أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا فقاتل اليهود عند الحصن، بباب أخذه بيده لحماية نفسه من السهام والرماح هو ومن معه. وقيل: إن المسلمين حاولوا فتح باب الحصن، فأعانهم علي رضي الله عنه فخلعه، وألقى به وجعله قنطرة دخل منها المسلمون إلى داخل الحصن، وبعد فتح هذا الحصن توجه المسلمون لفتح حصن الصعب بن معاذ، وكان لهذا الحصن سور اعتلاه المسلمون بعد جهد، ثم توجهوا إلى حصن الزبير، وقد استعصى حصن معاذ في بداية الأمر، وأصاب المسلمون ضعف من قلة الطعام، حتى إنهم ذبحوا الخيل وأكلوها،

(١) ابن هشام: السيرة، (ص ٦٩)، البخاري: الصحيح، (٨٩/٢ رقم ٣٥٤)، وما بعدها.

ولكن بعد فتح حصن الصعب بن معاذ وجدوا فيه مياهًا وثمارًا كثيرة، كما استعصى فتح حصن الزبير لأن داخله مجرى ماء سري، فلما قطعه المسلمون خرج من في الحصن مستسلمين بعد الحصار.

ثم اتجه المسلمون لحصار آخر قلعة على جبل شمران، فحصلت مبارزة بين الفريقين انتهت بهزيمة اليهود وفتح الحصن، ثم اتجه المسلمون إلى حصن القموص فحاصروه عشرين يومًا انتهت باقتحامه، وترك المسلمون بقية الحصون الصغيرة في خيبر التي لا أهمية لها.

وكان في حصن القموص كثير من النساء اصطفى الرسول صلى الله عليه وسلم منهن صفية بنت حيي بن أخطب فتزوجها، وقد كانت زوجة الزعيم اليهودي كنانة بن الربيع.

وقيل: إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد صالح من بقي من اليهود في حصونهم وآطامهم أملاً في قيامهم بزراعة تلك الأرض الخصبة التي تحتاج المدينة إلى ثمارها خاصة بعد كسر شوكة اليهود في حصونهم القوية في خيبر، فكان المسلمون يأخذون نصف ثمار تلك الأراضي من اليهود كل سنة، يرسل إليهم عبدالله بن رواحة لأخذ تلك الثمار، وأخيرًا أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم بعض المقاتلين بقيادة محيصة بن مسعود لفتح أرض فدك، فصالح الرسول صلى الله عليه وسلم أهل فدك على نصف أرض فدك، فرجع المسلمون دون قتال، فقد كانت ثمار فدك توزع على آل الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن الأرض كانت من نصيبه، ولكن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ضم ملكيتها أبو بكر إلى بيت المال، واستمر في توزيع ثمارها على آل الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يقبل أن توزع على ورثة النبي محتجًّا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الأنبياء لا يورثون»[١] خلافًا لمطالبة فاطمة رضي الله عنها، حيث اعتقدت بأحقيتها ملكية فدك ميراثًا، وعند رجوع المسلمين عن طريق وادي القرى قاتلوا من فيها من اليهود وتصالحوا مع بعضهم على ثمار أراضيهم[٢].

(١) أخرجه البخاري (٧٩/٤ رقم٣٠٩٣)، ومسلم (١٣٨٠/٣ رقم١٧٥٩).

(٢) ابن هشام: السيرة، (٦٩/٢)، والواقدي (ص١٩١-١٩٣).

٥. يهود تيماء

ولما سمع يهود تيماء بما حصل لبقية اليهود في الحجاز آثروا أن يدفعوا الجزية للمسلمين، فبقوا على حالهم خاصة وأنهم كانوا قليلي العدد وضعيفي الشوكة[١].

وتذكر بعض المصادر رجوع بعض اليهود خاصة من بني قينقاع وخيبر ووادي القرى إلى أماكنهم، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب قام بإجلاء اليهود من جزيرة العرب، تنفيذًا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وفاته: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»[٢]، واستثنى عمر بعض الأسر اليهودية التي كانت تحمل مستندًا أو تعهدًا من الرسول صلى الله عليه وسلم بإقامتها. ويذكر أن يهودًا كانوا في وادي القرى حتى القرن الحادي عشر، وكذلك ذُكر وجود يهود في تيماء حتى القرن الثاني عشر الميلادي، وليس بمستبعد أن تحتفظ بعض الأسر اليهودية بيهوديتها في أماكن بعيدة أو منزوية في الجزيرة العربية كنجران[٣].

٦. يهود العراق

نشير باختصار إلى أن اليهود نزحوا إلى العراق في أوقات تاريخية مختلفة، واستوطنوا بعض المدن، ونشير إلى تلك الأوقات كما يأتي:

١. يهود السبي الآشوري: وهم اليهود الذين سباهم الملك الآشوري سرجون حوالي سنة ٧٢٠ قبل الميلاد من المملكة اليهودية، المسماة بالسامرة، وجاء بهم إلى الشمال، فسكنوا العمادية ودهوك وزاخو وزيبار.
٢. يهود السبي البابلي: وهم اليهود الذين سباهم نبوخذ نصر من مملكة يهوذا (أورشليم)، وجاء بهم في وسط العراق، وذلك على حقبتين سنة (٥٩٦ ق.م) وسنة (٥٨٦ ق.م)، وهؤلاء يمثلون الأكثرية، واشتغلوا بالزراعة، وبعد احتلال الفرس للعراق في عهد الملك كورش قام بإرجاع بعضهم إلى فلسطين.

---

(١) الواقدي (ص ٢٢٤)، وما بعدها، وابن هشام: تاريخ، (١٢٢/٣)، وما بعدها، وتاريخ الخميس، (٢/ ١٦).
(٢) أخرجه مالك (٨٩٢/٢ رقم١٥٨٤)، ومن طريقه البيهقي في سننه الكبرى (٢٠٨/٩ رقم١٩٢٢١).
(٣) تاريخ الخميس (٢/ ٦٤).

٣. متهودة العرب الذين نزحوا من الجزيرة العربية من قبائل شتى، وذلك قبل الفتح الإسلامي، وسكنوا مدينة عانة، وبعض المدن القريبة منها في غرب الفرات.

٤. يهود من قبائل عربية جاءت من الفتح الإسلامي للعراق، وأغلبها من قبائل يمانية، وفي خلافة الإمام علي في الكوفة قيل: إن جماعات يهودية استقبلت الإمام عليًّا فقطع لهم عهدًا على حريتهم الدينية، وقد قدر عدد اليهود آنذاك بـ ٩٠ ألف نسمة، وقد منح الخليفة علماء اليهود لقب (الغاووني) لمدارسهم في مدينة سورا و فومباديتا، وازدهرت أحوال اليهود، وشاركوا في جميع الأنشطة التجارية والعلمية، واهتموا بمعابدهم ومدارسهم، فكان لهم مثلًا حضور كثيف في الكرخ ببغداد، فقد ذكر أنه كان لهم في الكرخ وحده ٢٨ كنيسًا، وازدهرت أحوالهم أيام الرشيد والمأمون، ولكن المتوكل ضيق عليهم.

٥. اليهود في عهد المغول والتتار: ساءت أحوال اليهود عند سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ، مثلهم كبقية العراقيين، ولكن في عهد سلطان التتار أرغون تمتع اليهود بمميزات وحرية كبيرة بسبب اتخاذ السلطان الطبيب اليهودي سعد الدولة مستشارًا عنده، ثم عين السلطان سعد الدولة على خزينة الدولة المالية، كما عين أخاه أمين الدولة اليهودي واليًا على الموصل، كما عين أخاه فخر الدولة اليهودي أمينًا على مزارع العراق، فاتسع نفوذ اليهود إلى أن وصل إلى أوقاف المسلمين، مما سبب ثورة على اليهود، قتل فيها سعد الدولة وإخوته، وبعد تولي تيمور لنك السلطة في العراق تشتت نفوذ اليهود وضعف.

٦. اليهود في العهد العثماني: منذ احتلال العثمانيين للعراق في عهد السلطان سليمان القانوني، وإزالة آثار الحكم المغولي تمتع اليهود بحرية وعيش هادئ ليس فيه ما ينغص حياتهم؛ ولذا فقد جاء إلى العراق يهود جدد خاصة من أصقاع الدولة العثمانية، وحتى حينما احتل الصفويون العراق في عهد الشاه عباس الأول مالأ يهود العراق هذا الاحتلال، وسايروا نوازعه حتى تخلص العراق من نفوذ الصفويين في عهد السلطان مراد الرابع، وفي عهد السلطان عبدالمجيد تمتع اليهود بالمساواة وإلغاء الجزية المفروضة عليهم، وذلك سنة ١٨٥٦م وذلك بإصدار أمر سلطاني تبعه كثير من الإصلاحات في عموم العراق، وقد أنشأ

اليهود في هذه الحقبة، مدارس تُعنى بتدريس الشريعة الموسوية ببغداد، وتخريج علماء وكهنة للمعابد اليهودية، واستقبال كهنة اليهود القادمين من فلسطين، وقد تمتع اليهود في هذه الحقبة بالحرية الدينية، وكتابة شريعتهم باللغة العربية على خلاف يهود كردستان، الذين كانوا يكتبون بالسريانية.

وفي أواخر الدولة العثمانية مالأ يهود العراق لخدمة التجارة البريطانية وما تعلق منها بصلاتهم بالهند، فكانوا في خدمة أغراض شركة الهند الشرقية، التي انتهت جهودها بالاحتلال البريطاني للعراق[١] [٢].

أسماء اليهود الذين ادعوا دخولهم الإسلام

بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حاول اليهود إيقاع الفتنة بين المسلمين، من ذلك ما ورد في شروع اليهودي شاس بن قيس بإلقاء أبيات من الشعر وردت في يوم بعاث، وهو اقتتال قديم في الجاهلية بين الأوس والخزرج، فتنادى الطرفان للقتال بسبب ذلك، فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فجاءهم يتلو عليهم ما أنزل من القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠٢.

ولما تبين لبعض اليهود انتصار الإسلام في المدينة أظهروا إسلامهم، وأخفوا يهوديتهم، فدخلوا في صفوف المنافقين، ذكر ابن إسحاق منهم: سعد بن حنيف، وزيد بن الصيت، ونعمان بن أوفى بن عمرو، وعثمان بن أوفى. ذكر ابن إسحاق أن زيد بن الصيت قال: كيف لا يعلم هذا الرسول أين ضاعت ناقته؟ وهو يدعي بعلم السماء!!! فرد عليهم القرآن ما يدحض المنافقين.

(١) غادة حمدي عبدالسلام: اليهود في العراق، (ص ١١)، وما بعدها، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٢) يعقوب يوسف كورية: يهود العراق تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم، (ص ٥)، وما بعدها، الأهلية للنشر، لبنان، ١٩٩٨م.

وحكى القرآن أسلوب هؤلاء في تعاملهم مع المسلمين، فقال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ آل عمران: ٧٢.

وفي رواية عن ابن عباس أن عبدالله بن الصيف وعدي بن زيد بن الحارث بن عوف قال بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية، حتى نلبس عليهم دينهم، لعلهم يصنعون كما نصنع، فيرجعون عن دينهم. فأنزل الله فيهم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ آل عمران: ٧١.

الفرق اليهودية (ذات العلاقة بالتشيع) وأثرها في المجتمع الإسلامي

أولًا: السبئية

وهي المنسوبة لعبدالله بن سبأ اليهودي اليماني، فكان لهم تأثير كبير في نشر تعاليم السبئية اليهودية بين أصحاب الإمام علي، بعد مقتل عثمان رضي الله عنهم جميعًا، وقد فصل النوبختي مقالة ابن سبأ في كتابه فرق الشيعة، وذكر آراءه ضد الخلفاء الراشدين وادعاءه الوصية من النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي، وأن لعلي صفة من صفات الربوبية، وهذا موضوع مشهور، ومقالاته مبثوثة. (انظر: كتابنا جذور التشيع ص ١٥٩ وما بعدها).

ثانيًا: فرقة العيسوية

وهم المنسوبون إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني من يهود أصفهان، نشر دعوته في زمن الخليفة الأموي مروان بن محمد الملقب (بالحمار) آخر ملوك بني أمية، والتف حوله مجموعة كبيرة من اليهود، وزعموا أنه نبي، وأن له من المعجزات ما لا يستطيع الجيش الإسلامي محاربته، فكانوا فرقة من الباطنية، كان لهم أثر في التلبيس على المسلمين في تأويل وتفسير القرآن الكريم.

ثالثًا: فرقة الموشكانية

وهم فرقة باطنية ادعت بأن الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم بُعث إلى العرب عبدة الأصنام، ولم يبعث إلى اليهود؛ لأنهم أهل كتاب، فكانت هذه الفكرة مثار جدل بين

علماء المسلمين وغيرهم، مما يسبب الشبهات في المجتمع الإسلامي، خاصة بين العامة في المجتمع الأموي[١].

رابعًا: فرقة الديصانية

وهي فرقة باطنية منسوبة إلى ميمون بن ديصان المشهور بالقداح، ومن هذه الفرقة محمد بن الحسين دنوان، وقد ظهروا في زمن المأمون، وانتشرت دعوتهم زمن المعتصم، وذلك بعد خروجهم من سجن العراق، ومن أثر هذه الفرقة انتساب حمدان قرمط إليها، فكانت آثار القرامطة في المجتمع الإسلامي زمن العباسيين أمرًا مشهورًا[٢].

خامسًا: فرقة الراوندية

وهي المنسوبة إلى ابن الرواندي الملحد، قيل: إنه من اليهود، واشتهر بكتبه الملحدة، فقد ألف كتاب (التاج)، وكتاب (الفريد)، وأيضًا كتاب (الزمردة)، وكتاب (قضيب الذهب)، وكتاب (المرجان)، اعترض فيها على شريعة الإسلام وعلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبقية الرسل، ونادى بحكم العقل وسيادته، وجعله حاكمًا على الشرع، وقال: إذا كان الأمر كذلك فلا حاجة للرسل والأنبياء ولا للقرآن، وقيل: إنه عارض القرآن وإعجازه، فكتب كتابه (الدامغ) قيل: إنه وضعه لليهود، وخاصة ابن لغوي، وقد رد عليه أبو علي الجبائي والخياط (في كتابه الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد) قديمًا، وحديثًا رد عليه المرحوم محمد صادق الرفاعي في كتابه إعجاز القرآن، وقيل: إن ابن الراوندي كان يتكسب من كتاباته ضد الإسلام والمسلمين، من ذلك ما رواه أبو العباس الطبري أن ابن الراوندي ألف كتاب (البصيرة) بطلب من يهود السامرة نظير أربع مئة درهم، وطلب منهم زيادة وإلا قام بنقضه، فأسكتوه بمئة درهم[٣].

نتائج الصدام بين يهود يثرب والمسلمين

شرحنا سابقًا تطور العلاقة بين يهود الحجاز ودعوة الإسلام منذ هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، التي انتهت بانكسار اليهود ومن كان يتابعهم من المنافقين، والسؤال المهم:

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، (٢/ ٤٦-٤٧).

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، (ص ٢٨٢).

(٣) د. فرج الله عبدالباري: الاختراق اليهودي للمجتمعات الإسلامية، (ص ٤٦- ٤٨)، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م.

هل اختفى الأثر اليهودي في المجتمع الإسلامي الجديد، أم تحول إلى حركة سرية اتخذت دخولها في الإسلام سلمًا وستارًا؟ فنحن نجد الجهود اليهودية تلتقي مع جهود المنافقين في عدة مناسبات تاريخية مهمة، يمكن تلخيصها والإشارة إليها كما يأتي:

١. مقتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

تذكر المصادر أن الذي قام بقتل عمر بن الخطاب غدرًا هو فيروز المكنى بأبي لؤلؤة المجوسي، الذي كان مولى وعاملًا للمغيرة بن شعبة، حيث اشتكى لعمر من زيادة ما عليه من خراج مفروض، و لم ير عمر في شكواه من ظلم، وقد ورد في رواية الطبري: أن كعب الأحبار الذي أسلم وكان من علماء اليهود في يثرب قال لعمر: إني أجد مقتلك في التوراة، ليس بالاسم وإنما بالصفة. وأن كعبًا قد حذر عمر من أنه سيُقتل بعد ثلاثة أيام، وبرغم عدم التفات عمر لهذا فقد وقع اغتياله، ومهما يرد للباحث من شك في تفاصيل ما ذكر قبل الاغتيال وبعده، يبقى السؤال الملح: هل كان السبب الرئيس وراء اغتيال عمر سببًا شخصيًّا فقط من شكوى أبي لؤلؤة، أم أن الاغتيال في المدينة كان نتيجة لتلاقي الرغبات والجهود الخفية التي التقت فيها اليهودية والمجوسية من أن تنتقم بعد إخراج يهود الحجاز والمجوس من العراق والمنافقين من العرب ذوي الأهواء المعاكسة للدعوة الإسلامية الجديدة المنتصرة على دولتين كبيرتين، هما الدولة الساسانية والدولة البيزنطية، والقوة ممثلة برأس الخليفة الشهيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١].

٢. مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه

في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما سارت جيوش المسلمين إلى فتح العراق والشام ومصر، وكان عمر يمنع المهاجرين والأنصار من السكن في البلاد المفتوحة وترك المدينة، ولكن في عهد الخليفة عثمان سمح لهؤلاء بالتفرق في الأمصار، فضعفت قوة المسلمين في المدينة، وقويت شوكة مخالفيهم من بقايا اليهود والمنافقين، إضافةً إلى أن كثيرًا من العرب المتهودة في بعض القبائل العربية الذين دخلوا الإسلام متأخرًا كما هو الحال في يهود قبيلة حِمْيَر وقبيلة همدان القادمين إلى المدينة من الكوفة، وكذا من

(١) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، (ص ١٧٥)، وما بعدها، مطبعة الاعتماد، ١٩٢٧م.

متهودة العرب من قبيلة تجيب وجذام وكندا القادمين إلى المدينة من الفسطاط، وغيرهم من متهودة العرب الذين لم يدخل الإسلام في قلوبهم، فكان واضحًا في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه تشكل معارضة سياسية قادها هؤلاء الذين سموهم المؤرخون بالسبئية، لغلبة أتباعهم لمقولة عبدالله بن سبأ ومن تابعه من متهودة العرب إلى أن أدى الحال إلى شغبهم على الخليفة عثمان، وتزوير الكتب عليه، وإثارة الفتن عليه في الكوفة ومصر خاصةً، إلى أن أنتجت هذه الفتنة مقتله شهيدًا في بيته وهو يقرأ القرآن، وقد منع رضي الله عنه الدفاع عنه خشية الاقتتال بين المسلمين في هذه الفتنة، ولا أدل على ذلك ما حدث بعد مقتله ومبايعة علي رضي الله عنه ومطالبة أولياء الدم الإمام علي بتسلم قتلة عثمان، الذين انضووا في جيشه فكان رده عليهم: (إن هؤلاء يملكوننا ولا نملكهم). ولم يستطع الإمام علي من تنقية جيشه منهم إلى أن جاءت حرب الجمل.

٣. حرب الجمل

بعد الخلاف الذي وقع بين المسلمين، قومٌ يطالبون بدم عثمان، وآخرون يطلبون التأجيل لعدم المقدرة على مقاتلة البغاة، وبرغم الصلح الذي جرى بين الفريقين، ولكن السبئية ومن تابعها من المنافقين لم توافق على ذلك، فأنشبت حرب البصرة في الليل المظلم، فكانت النتيجة وخيمة على المسلمين، حيث قتل فيها الكثير من القرشيين والمهاجرين، و كثير من الصحابة قد اعتزل الفريقين، ومن الواضح أن الدسائس اليهودية السبئية كانت عاملًا أساسيًّا في هذه الحرب لا يمكن فصلها عن بقية الأحداث السابقة كما أشرنا، ويتضح ذلك جليًّا في حرب صفين.

٤. حرب صفين

استمرت تلك الكتلة المحاربة في جيش الإمام علي الذين لم يستطع تنقية جيشه منهم، وعادوا ليتسببوا له بالمشكلات والخلافات بين المسلمين، وبالرغم من اتضاح انتصار الإمام علي في حرب صفين أول الأمر، إلا أن تلك الكتلة التي أشرنا إليها في جيشه قد أضرت به أيما ضرر، حيث أرغمته على قبول التحكيم، وبعد ظهور التحكيم في غير صالحها انفصلت تلك الكتلة عن الإمام علي وخالفته إلى درجة تكفيره (وهم الخوارج)،

فاضطر لمحاربتهم في موقعة النهروان، فتصدع بذلك جيشه وأصحابه مما أدى إلى مقتل الإمام علي.

٥. مقتل الإمام علي

اشتد الخلاف بين الإمام علي ومخالفيه من هذه الكتلة (الخوارج)، التي سميت بكل وضوح بالسبئية والخوارج، وبرغم ادعاء السبئية وأفكارها التي خصوا بها رفعة الإمام علي، مثل ادعائهم بتمتعه بصفات من الألوهية، وأنه وصيٌّ بالنص من النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه باب العلم، وما إلى ذلك من دعاوى ذكرها النوبختي في كتابه فرق الشيعة، فقد أضرت السبئية بالإمام علي وبنيه، مضمرة انحراف قوة العرب المسلمين وإحلال اليهودية والمجوسية محلهم، إلى أن قام شقيهم عبدالرحمن بن ملجم، وكان في جيش الإمام علي فقتل الإمام فجرًا في مسجد الكوفة، وبعد مبايعة المسلمين لابنه الحسن تجهزوا لمحاربة مخالفيهم السابقين في صفين، ولكن مرةً أخرى قامت هذه الكتلة في جيش الحسن بإثارة الخلافات وتخذيل الآخرين عن القتال، فلما أحس الإمام الحسن بخذلانهم واتضح له حقيقة هذه الفئة، التي خذلت والده وخذلته هو الآخر، وافق رضي الله عنه على الصلح مع معاوية، فقام له شقيٌّ من جيشه من تلك الكتلة، اسمه سنان الجعفي فضربه، فشج جزءًا من جنبه وفخذه، ولم يتمكن من قتله، فبقي شهورًا في المدائن يداوي جرحه، وقد غضبت تلك الكتلة من صلح الحسن مع معاوية، وأشاعوا تسميته (بمذل المؤمنين)، كما تذكر مصادر الشيعة ذلك.

وعمومًا لا يمكن فصل الثورات والحركات التي حدثت في الدولة الأموية أو العباسية من آثار السبئية والخوارج، ويعود التاريخ نفسه في العصر الحديث إلى استفحال الخلاف نفسه وامتداده تاريخًا منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا، مع الاختلاف في المعطيات والمبررات الفكرية والجغرافية.

وقد آثرنا أن نوجز للقارئ الكريم النتائج التي تداخلت فيها عوامل في التاريخ الإسلامي، مؤثرين توضيح كيد اليهود منذ القديم لمخالفيهم من المسلمين[١].

(١) الطبري: تاريخ، (٥٤٣/٣).

حقيقة السبئية

ظهرت مؤخرًا أبحاث تشكك بحقيقة شخصية عبدالله بن سبأ اليهودي اليماني، بدأها بعض المستشرقين، وتبعهم طه حسين، وتلقفها بعض الشيعة في العصر الحديث، أمثال مرتضى العسكري، ونحن لا يهمنا كثيرًا شخصًا واحدًا اسمه عبدالله بن سبأ، ولكن المهم وجود الأفكار السبئية وأثرها في المجتمع العربي والإسلامي، فقد سبق أن أوضحنا أثر يهود يثرب في المدينة، وبالرغم من إجلائهم عنها لم يسلم المجتمع الإسلامي من أفكارهم المنحرفة عن قواعد الإسلام، وقد أوضحنا فيما تقدم من سفكٍ للدماء ومقتل ثلاثة من الخلفاء الراشدين، والحروب التي حصلت في القرن الأول بين المسلمين أثر السبئية عمومًا فيها، فإذا علمنا أن أفكار السبئية التي نادت بألوهية الإمام علي، وأنه وصي النبي للخلافة بعده، وأنه سيرجع والمعجزات التي نسبت إليه، وجرت على يده من أمثال كونه معصومًا يعلم الغيب، ويبرئ الأكمه، ويحيي الموتى، وأنه في السحاب، الرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه سيرجع وأفكار البداء والتقية وتفويض الخالق له إدارة الكون وللائمة، وما إلى ذلك من المقولات التي أصبحت معلومة أشارت إليها المصادر القديمة من مصادر الشيعة والسنة معًا بما لا يمكن لعاقل إنكاره، ويحق لنا أن نسأل: من هم أولئك الرجال الذين ادعوا بتلك الأفكار السبئية، وهل أن المصادر التاريخية عند الشيعة والسنة معًا تذكرهم بكل وضوح، وتنسب إليهم بعض تلك المقولات التي ذكرناها، فالجواب: نعم.

وقد انتشروا في المجتمع الإسلامي في القرن الأول، ولا أدل على ذلك إلا تتبع رجال مصطلح الحديث لهم، فقد وجدوا حتى بين رواة السنة، وقد استجلبت هذه الظاهرة الأستاذ سعدي الهاشمي، حيث استقصى واحدًا وعشرين راويًا من رواة السنة، الذين وردت أسماؤهم في الصحيحين أو في المجاميع الستة الأخرى، وإليك نموذجًا لأول شخص ذكر أنه قريب من البيت العلوي، مما يعني أن تلك البلوى وصلت شرورها إلى ذرية الإمام علي نفسه، وهو: عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي (ت ٩٨هـ) من المتأثرين ببعض أقوال السبئية، قال عنه بعض المحدثين: إنه يتبع أقوال السبئية، ومن المتأثرين بها[1]، وقد ذكرنا في كتابنا (جذور التشيع)، وكذلك في كتابنا (أثر الفكر اليهودي على

(١) د. حمدي عبدالعال: السبئيون منهجًا وغاية، (ص ٧٧) وما بعدها، دار القلم، الكويت، ١٩٨٥م.

غلاة الشيعة) أولئك الأشخاص وغيرهم، فإذا كانت أفكار السبئية أو بعضها قد تأثر بها بعض المحدثين أو الرواة من السنة، فكيف هو الحال في الأثر الذي تركه السبئية في بقية أفراد المجتمع الإسلامي في القرن الأول الهجري خاصة، ثم ما بعده[١].

ويمكن للقارئ أن يرجع إلى الفصل المتعلق بالجسور التي عبرت منها العناصر الأجنبية إلى التشيع.

أثر اليهود الاجتماعي على العرب في العصور الوسطى

تدعو تعاليم التوراة والتلمود اليهودي إلى الانعزال والعنصرية، وأنهم شعب الله المختار، ينفردون عن الآخرين في لغتهم وعبادتهم وطعامهم وثقافتهم، فكان لهذه التعاليم أثر كبير في طريقة عيش اليهود في المجتمعات العربية والإسلامية، فهم غالبًا ما يسكنون في أحياء خاصةً بهم أو فيها غلبة يهودية، وهذا ما كان عليه اليهود خاصةً في أوروبا (الجيتو)، خاصة في القرون الوسطى، مما تسبب في كراهيتهم وانعزالهم، خاصةً الفئات المتدينة منهم، وفي أوقات مختلفة تعرضوا للاضطهاد لأسباب سياسية، أغلبها تواطؤهم مع القوى المناوئة لمجتمعهم، مما يسبب لهم مزيدًا من العزلة والاضطهاد، ولكن اليهود في المجتمع الأوربي والإسلامي بشكل عام تمتعوا بالتسامح وقبولهم على ما فيهم من نقائص، وإلى الحد الذي تسمح به قواعد الشريعة الإسلامية المتعلقة بالعلاقة بين المسلم وأهل الكتاب، خاصةً في مسائل الزواج والعبادات... إلخ، وقد رصد المؤرخون علاقة اليهود بالمجتمع العربي والإسلامي، فأوضحوا نقاطًا كثيرة لالتقاء الطرفين في أكثر الأوقات التاريخية، واندماج اليهود في المجتمع العربي في نواح مختلفة سنستعرضها لاحقًا، وقد اعترف المؤرخ اليهودي مارك كوهين بأن اليهود والنصارى قد تمتعوا بحرية واسعة في المجتمع المصري إبَّان الحكم الفاطمي لمصر، وهنا نشير إلى التساؤل: هل في مذهب الشيعة الإسماعيلية نقاط التقاء سياسي باليهودية ضد المذاهب السنية؟

(١) ابن حجر العسقلاني: ميزان الاعتدال، (١٦/٦)، النوبختي: فرق الشيعة، (٤٨٣/٢).

وقد تمتع التاجر ابن عوكل والنهاري ابن النسيم والتستري بأموال وتجارة واسعة، وكان لهم تأثير اجتماعي كبير، فقد ذكر أن جد الرابي اليهودي بلطيال والمدعو شفطايا، هو الذي زود جيش السلطان الإسماعيلي العبيدي بالمؤن من المغرب، للاستيلاء على مصر في دولة المعز لدين الله الفاطمي، ويرى المؤرخ اليهودي إبراهام هالكنز: أن اليهود في البلاد العربية وخاصةً في القرون الوسطى اندمجوا في مجتمعهم، فلم يعيشوا في جيتو مغلق وإنما قد يسكنون في محلة غالبيتها يهود ويقبلون سكن الآخرين من المسلمين بينهم، بل ويقبلون أن تبنى مساجد في أحيائهم لصلاة المسلمين الذين يسكنون بينهم.

كما يشار إلى تمتع يهود المغرب بكثير من الحرية والاندماج في مجتمعهم، وقد شهد بعض مؤرخي اليهود إلى أن مدينة الفسطاط في مصر والقيروان في المغرب وغيرها من المدن لم تكن تحوي محلات خالصة لليهود، بل إن محلات اليهود التي سكنوها يغلب عليها العنصر اليهودي.

وفي بعض الأوقات التاريخية التي يحصل فيها غضب سياسي من المجتمع نتيجة لتواطؤ اليهود أو بعض ساستهم مع الأجنبي الخارجي، مما يدفع المجتمع إلى كراهيتهم، وربما ينالهم بعض الاضطهاد، فتعمد الدولة إلى حصرهم في مكانٍ واحد حماية لهم، كما قيل حصول ذلك في الملاح في مراكش وفي الحارة في تونس وقاعة اليهود في اليمن والمحلة في فاس.

ومن معالم اندماج اليهود بالمجتمع تأثر اليهود بأنواع الطعام واللباس، خاصة ملابس النساء اليهوديات التي تشبه ملابس النساء المسلمات، وقيل: إنهم أخذوا فكرة الفتوى الشرعية من المسلمين، كما تأثروا ببعض الفرق الصوفية، ولكن التأثيرات واضحة في مجال التجارة والعمل اليومي، وحمل أكثرهم أسماء عربية، أما في الثقافة والشعر وعلوم اللغة والآداب فقد برع كثير من اليهود فيها، وأصبحوا يعدون جزءًا من الثقافة العربية.

وقد برزت فرقة الهكالاة اليهودية في أوروبا في القرن السابع عشر الميلادي تدعو اليهود للاندماج في مجتمعاتهم، وتعارض تعاليم كهنة اليهود ورجال دينهم، التي تدعو

إلى العنصرية والانعزال، وهذه تعد رد فعل ضد أفكار الجيتو اليهودي في أوروبا إبَّان العصور الوسطى.

مدى اندماج اليهود في مصر

وجد اليهود في مصر إبَّان الفتح الإسلامي، فكانوا في كل من الإسكندرية ودمياط ومنطقة الدلتا عمومًا، ثم في الفسطاط والقاهرة بعد بنائها؛ فالفسطاط مدينة عسكرية بناها عمرو بن العاص سنة ٢١هـ ونزلتها قبائل عربية خاصة من اليمن وسكنها من متهودة العرب اليمنيين من تجيب وجذام وكندا، وتركَز اليهود فيها في حارة قصر الشمع، وعادة ما يهتم اليهود عند سكنهم في حارة معينة أن يبنوا فيها المعبد والمدراس والحمام وجزارة، وتشير المصادر العربية التي تكلمت عن عبدالله بن سبأ اليهودي، وأنه أقام مدة في الفسطاط في عهد الخليفة عثمان، وقام بتأجيج الخلاف والمعارضة ضد الخليفة عثمان، وما سمي بعدئذ بالحركة السبئية ضد الخليفة، والتي أنتجت مقتله رضي الله عنه.

وهذا ينبئ أن في الفسطاط من متهودة العرب من قبائل يمنية من تجيب وكندا وجذام، من دخلوا في الإسلام شكلًا، وظلوا على يهوديتهم سرًّا في هذه المدينة التي تعد معسكرًا لجيش المسلمين، ولا تشير المصادر إلى عدد اليهود في الفسطاط في القرون الأولى الهجرية، ولكن في أواخر العصر الفاطمي قدر الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي الذي زار الفسطاط عدد اليهود بـ٧٠٠٠ شخص، وبعد ضعف أهمية الفسطاط اتسعت القاهرة فانتقل إليها كثير من اليهود، وخاصة من يهود السامرة ومن مذهب القرائين خاصة في عهد المماليك، ومن أشهر تجار اليهود في الفسطاط ابن عوكل، الذي كان له اتصال مباشر بقصر السلطان الفاطمي، وبحريمه الذي يبيع لهم الجواهر واللؤلؤ، أما حارات اليهود المشهورة في القاهرة، فهي المصاصة وحارة زويلة، وتثبت وثائق الجنيزة (وهي مجموعة الأوراق والرسائل ووثائق الملكية للأراضي والمساكن التي يملكها اليهود ومستندات الرهن والمداينات إلخ... المجموعة في مكتبات ومعاهد أوروبية عدة إلى اليوم) أن علاقة اليهود بالمجتمع العربي الإسلامي كانت دائمة الاتصال خاصة في مناحي العيش المشترك والتجارة، فبيوت كثير من اليهود ومعابدهم في حارات المسلمين، فقد ذُكر أنه

في عصر المماليك وفي القاهرة وجد منزل الصائغ اليهودي زين الدين الكافي بين منازل المسلمين، وهم علي الأنصاري، ومحمد الفراس، وذلك في حارة ابن سميح، كما وجد كنيس اليهود بجوار مسجد المسلمين في حارة درب خبيصة، وفي حارة ابن أبي الحداد كنيس يهودي بجوار مسجد للمسلمين، وتشير بعض وثائق الجنيزة إلى هبات ومبالغ مالية وأوقاف لمعابد اليهود ومدارسهم، فمثلًا تشير إحدى الوثائق إلى أن اليهودي محيسن قد تبرع بنصف داره لتوسعة الكنيس اليهودي في حي زويلة، وذكر عوبدايا في نهاية عصر المماليك: أن اليهود السامريين، كانوا أغنى اليهود في مصر، وأنهم يتولون الوظائف الكبرى والإدارة، وأن أحدهم كان يمتلك ٢٠٠،٠٠٠ قطعة ذهبية، وأنه وجد كثير من اليهود يعملون في الصيرفة، وحمل اليهود في مصر نساء ورجال أسماء العرب والمسلمين فقط، كان من الصعب التفرقة بين الطرفين.

إن أهم حارات سكن اليهود في كل من الفسطاط والقاهرة، هي: حي المصاصة، وحي قصر الشمع، وحي زويلة، وحي مهرة، وحي تجيب.

فإذا أخذنا حي قصر الشمع مثالاً على كثافة وجود اليهود، يذكر فيه دروب اليهود وأزقتهم، منها درب زقاق اليهود، وزقاق الترجمان (هو لليهودي ترجمان السلطان)، وفيه كنيس لليهود، وفيه زقاق الترمس، وزقاق أبي حديد اليهودي، وسوق بربر وزقاق الكنيس، ويبدو أن سكنة قصر الشمع هم من الطبقة اليهودية الثرية.

وقد وجد في هذا الحي ثمانية مساجد للمسلمين، مما يدل على امتزاج اليهود بغيرهم من السكان، وفي بقية حارات اليهود التي ذكرناها يتوافر فيها عادةً سقيفة للاجتماع، (لعل هذه السقيفة مأخوذة عن تقليد للقبائل اليمنية في بناء جبانات لكل قبيلة - انظر جبانات الكوفة في كتابنا (جذور التشيع)، وهذا يؤيد انتقال يهود اليمن إلى مصر مع الفاتحين)[1].

(١) دكتورة. زبيدة محمد عطا: اليهود في العالم العربي، (ص ٢٧)، وما بعدها، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٣م.

فرق اليهود

١. السامريون

وهم أقدم فرقة يهودية، وأقلها عددًا، وكانوا في نابلس وما حولها، ويعتقدون بأنهم أصل الديانة الموسوية، كما يرون أن التوراة كتبت بلغتهم من ستة أسفار فقط، وهي التكوين والخروج واللاويين (الأحبار) والعدد وتثنية الاشتراع وسفر يشوع، أما بقية الأسفار وأعمال الرسل فيرون أنها باطلة، ضُمت إلى التوراة فيما بعد، وكذلك لا يعترفون بالتلمود، ويدعون أن الهيكل بني عندهم على جبل عريزيم، وأن جبل صهيون ليس مقدسًا، ويتوجهون بصلاتهم نحو موقع هيكلهم المزعوم.

٢. الصدوقيون

وهم المنسوبون إلى الكاهن صدوق في عهد الملك سليمان، حيث كان ذا مكانة عنده، وهم من أوائل القرن الأول من اليهود بعد الملك داود، وقد تأثروا فيما يبدو بفلسفة أبي قور اليوناني، فعندهم نوع من الإيمان بالماديات فقط، وإنكار لكثير من المسائل الروحانية، فهم ينكرون البعث والحساب، كما أنهم ينكرون وجود عوالم غيبية من ملائكة أو شياطين أو جن، وتعد من الفرق اليهودية البائدة.

٣. الفريسيون

وتعني باللغة الآرامية المنعزلون، ويدَّعون بأنهم هم الأولى على شريعة موسى، وأنهم يؤمنون بجميع ما ورد من أسفار في العهد القديم على خلاف الصدوقين، وهم يؤمنون بالبعث والحساب، وهم من الطوائف المتعصبة دينيًّا، ويدَّعون أنهم هم العلماء والأحبار وأن غيرهم جهلة، ويجمعون بين عقيدة القدر وإرادة الإنسان الحرة.

٤. القراؤون

وهذه الفرق تنسب إلى عنان بن داود الذي انصب اهتمامهم على قراءة نص التوراة فقط، وكذبوا ما ورد في التلمود وما ورد في المرويات الشفوية، حيث اهتموا بدراستها ونقدها، خاصة ما ورد من نصوص في التلمود والمشنا والجمارة، ولهذا السبب فقد نادى بقية اليهود بتكفير فرقة (القراؤون)، واعتبارهم ملاحدة لإنكارهم ما ورد في الكتب

المذكورة، واعتبروا متأثرين بأفكار الفيلسوف اليوناني أبي قريدس أو (أبي قور)، وذكر أن الفرقة كانت محل نقد من فرقة الربانيين خاصة، واتُّهمت باقترابها من المسلمين في العصر الأندلسي والعصر العباسي، حيث تحول كثير من أتباعها إلى الإسلام، ولا شك أن هذه النقطة تعزز فكرة مسألة تسرب الفكر اليهودي إلى المسلمين، وخاصة الشيعة كمسألة خلق القرآن، التي تسربت عن بحث خلق التوراة عند اليهود، والجدير بالذكر أن هذه الفرقة قد قاومت فكرة الصهيونية.

٥. الربانيون

وهي نسبة إلى كلمة الرابي، وهو رجل الدين اليهودي، حيث تتكرر هذه الكلمة في نصوص التلمود خاصة، وهم يؤمنون بجمع النصوص والأسفار الواردة في اليهودية، وهم الأكثرية بين اليهود، وعادةً ما يكون القضاة منهم، وكذلك مباشرتهم لعقود الزواج، واهتمامهم بشؤون اليهود العامة، وهم الذين قادوا الحركة الصهيونية والمنظرين لها، ولهذا فقد هاجموا فرقة القرائين.

٦. فرقة القبالة

وهم فرقة غنوصية، يؤمنون بأن العلم المتحصل هو فيض من نور الله الرباني، يقذف في القلوب والأفكار، وعندهم أن كل نص في التوراة له معنى ظاهر وباطن، ولهذا فقد برعوا في التأويل الباطني خاصة ما وجدوه من نصوص في سفر دانيال، ويذكر بعض الباحثين: أن هذه الفرقة مسلكها التفسير الباطني، قد تأثرت بالفلسفة اليونانية خاصة الأفلاطونية المحدثة، وانقسموا في اهتماماتهم إلى قسمين: قسم اهتم في المسائل العملية من صلاة وصيام. وآخرون اهتموا أكثر في المسائل الفكرية والاستغراق في التفسير الباطني، فقد ظهر بينهم التفسير الباطني للحروف والأعداد الواردة في النصوص التوراتية، وسوف نبحث أثر هذه الفرقة على بعض الفرق الصوفية وبعض من علماء الشيعة الذين سموا بالحرفيين، والذين ظهروا في الحلة إبَّان الحكم المغولي.

٧. يهود الدونمة

وكلمة دونمة فارسية، مكونة من كلمتين: الأولى: دو، تعني اثنين. والثانية تعني نمه، تعني مذهب أي اليهود ذوي المذهبين الإسلام واليهودية، وقد نزحوا إلى تركيا بعد سقوط

الأندلس، وقد ظهر بينهم في أزمير شبتاي زيوي الذي ادعى بظهوره كمسيح منتظر خاصة بين اليهود القاطنين في بولونيا الذين تعرضوا للاضطهاد، فظهرت حركة زيوي السياسية بين يهود الدونمة، فخشي السلطان العثماني محمد الرابع سنة (١٦٤٨م) أن تثير هذه الحركة فتنة في بلاه، فعزم على ضربها، فجاء من ينصح زيوي وأتباعه على إعلان إسلامهم ودخولهم في طاعة السلطان، وتم نفي زيوي إلى ألبانية وفيها توفي، وقد قيل: إن أصل أتاتورك من يهود الدونمة، ولا يختلف يهود الدونمة في تطبيقاتهم في العبادات والزواج عما ذكرناه عن بقية اليهود، وقد انقسموا إلى طائفتين: طائفة يهود شواع هيشل توريف في بولندا. والطائفة الفرانكية نسبة إلى يعقوب فرانيك، وقد تأثر بكثير من المبادئ المسيحية، ودخل أكثر أتباعها في المسيحية، ولهذا فقد اضطهدوا من قبل حاخامات بولندا.

٨. الإصلاحيون

وهي طائفة الهسكالاه التي ظهرت بين يهود أوروبا، إبَّان النهضة الصناعية الحديثة بعد القرن الثامن عشر، وخاصة في ألمانيا، وهذه الطائفة تدعو عدم انعزال اليهود، وأوجبت عليهم المشاركة في حركة مجتمعاتهم، التي هم فيها، وأن يقدموا انتماءهم الوطني على الانتماء الديني، فيصفون الفرد مثلًا بأنه مواطن بريطاني ودينه اليهودية. كما دعوا إلى التخفيف من الواجبات الدينية غير الثابتة خاصة التي اكتسبت بالعرف، ولكن الحركة الصهيونية استغلت هذه الطائفة على سعتها لمشروعها الصهيوني، فظهر من بينهم من نادى بإقامة إسرائيل والهجرة إلى فلسطين، وبقي قلة من الإصلاحيين المعادين للفكر الصهيوني، ولكنهم عادة يرمون بالمروق عن التعاليم اليهودي، أو ربما رموا بالاتجاه الليبرالي اليساري.

٩. فرقة ناطوري كارتا

وهى فرقة منسلخة عن اليهود الأرثوذكسية، وتنادي هذه الحركة بالرجوع إلى الأصول اليهودية الأولى، وتعادي الصهيونية، وقد تأسست في الستينيات تنادي بأن الإصلاح يتم عن طريق ظهور المسيح، فلا يجوز إقامة دولة اسرائيل قبل ذلك، ولا يجوز الخدمة في جيشها ولا الدراسة في مدارسها، ورفض مبادئ الصهيونية التوسيعية، خاصة الاستيلاء على أراضي الفلسطينيين ومصادرة بيوتهم؛ لأن ذلك اعتداء مخالف للشريعة اليهودية،

ويذكر أنهم يبلغون حوالي ٥٠٠ ألف اليوم في إسرائيل وخارجها، حيث منهم مجموعة كبيرة تسكن القدس (حي مئة بوابة- رمي شيريم)، ومنهم مجموعة في الولايات المتحدة على رأسهم الكاتب (نعوم تشومسكي)، الذي كتب الأفكار السياسية لهذه الفئة، وتنبأ بزوال إسرائيل قريبًا، ذكر بعضهم زوالها سنة (٢٠٢٢م)، ومن هذه الطائفة في إسرائيل عدة مجموعات، منها مجموعة موشيه هيرشيل، وهم أقرب الفئات للفلسطينيين.

١٠. اليهود الأرثوذكسية

تؤمن بجميع التراث اليهودي بشكله المتشدد الوارد في النصوص ويتشددون بالتمسك بالتلمود (الهالافاة) بالرغم من أن التلمود عبارة عن أقوال الكهنة القدماء الذين فسروا التوراة، وهؤلاء يمثلون غالبية اليهود اليوم، سواء في إسرائيل أو خارجها، ولكنهم يقبلون المنجزات الحديثة، ويدعون إلى استخدامها لمصلحة إسرائيل، كما يعتقدون بأن الدراسات الأكاديمية الحديثة إلى الأديان قد تقود إلى الكفر، ولهذا فإنهم يلتزمون بالطرق والوسائل القديمة لدراسة اليهودية ومحاربة فكرة اندماج اليهود الوطني في كيانات المجتمعات الأخرى كالمسيحة أو الإسلامية، وانقسموا إلى فئتين:

الأولى اليهودية الأرثوذكسية: وهم الفئة الأكثرية، منهم الحزب الديني القومي (المفدال)، الذي تأسس سنة ١٩٥٦م في مجموعتين متعصبتين، تحالف هذا الحزب مع حزب العمل حتى سنة ١٩٧٧م، حيث انتقل للتحالف من الليكود، فأصبح حزبًا يمينيًّا متطرفًا؛ ولذا كان يمسك بوزارة الداخلية ووزارة الأديان، وقد تبنى فكرة اغتصاب فلسطين كلها، وعدم الاعتراف بأي حق للفلسطينيين، وتفرع منها بعض الأحزاب، منها حزب تراث إسرائيل، والحزب الصهيوني الديني، وحزب المستوطنين (تكوما).

الثانية الفئة اليهودية الأرثوذكسية المتشددة (حريديم): وهي قليلة منعزلة، لا تعترف بالصهيونية، ولا يشاركون بقية اليهود بأنشطتهم، ويعدون حركة علمانية، وهم ينتظرون ظهور المسيح المخلص، الذي سيقود اليهود إلى أرض الميعاد، ويمثل هؤلاء حزب اغودات إسرائيل سنة ١٩٩٢م، وقد انشق حزب شاس سنة ١٩٨٣م عن هذه الفئة، وهو حزب متعصب، يمثل غالبًا اليهود الشرقيين من فئة اغودات إسرائيل.

١١. اليهود الأشكيناز

وهم يهود ألمانيا وفرنسا، وقد هاجروا إلى إسرائيل، يتكلمون اللغة العبرية اليديشية، التي سادت بينهم منذ سنة ١٢٥٠م في ألمانيا وفرنسا، وهي اللهجة السائدة في إسرائيل الآن.

١٢. يهود السفارديم

وهم في الأصل يهود إسبانيا والبرتغال، ثم اتسع المفهوم ليهود البحر الأبيض المتوسط، كانوا يتكلمون الوسطى (اللاويين) وهم الطائفة الثانية عددًا بعد الأشكيناز.

١٣. يهود الخزر

وهم القاطنون قديمًا في مملكة الخزر منذ القرن الثامن الميلادي، ويسمون أيضًا يهود بحر قزوين، وقد كونوا دولة يهودية امتدت إلى أكثر من قرنين من الزمن، وأغلبهم من العنصر التركي، في نظر المؤرخين أن تسعين بالمئة ٩٠٪ من يهود إسرائيل يعودون في الأصل إلى يهود الخزر، الذين اعتنقوا اليهودية منذ سنة ٧٤٠ ميلادية بعد تهود ملك الخزر، وقد سقطت مملكة الخزر في أول القرن الحادي عشر، وتوزع يهودها في أوروبا الشرقية وأمريكا، وهذا يدحض عنصرية الصهيونية التي تدعي بأن جميع اليهود من رحم يهودية، فيهود الخزر أغلبهم من عنصر تركي آري، تهودوا بعد أن كانوا على المسيحية.

١٤. يهود الفلاشا

وهم من إثيوبيا عنصرًا ولغة، حيث لا يعرفون العبرية، ويعترفون فقط بالعهد القديم دون بقية كتب اليهودية، ويحترمون الطقوس اليهودية من صلاة وعدم العمل يوم السبت، وينظر لهم في إسرائيل نظرة دونية إما لاعتبار بشرتهم، أو للاعتقاد بأنهم ليسوا يهودًا في الأصل، حيث إن كلمة الفلاشا تعني المنفيين أو الغرباء، ويعمل الفلاشا في إسرائيل بالأعمال الدونية، وينظر إليهم باحتقار، وبعضهم لا يعترف بيهوديتهم، واختلف المؤرخون في أصلهم، فبعضهم قال: إنهم من اليمن. وقيل: بل من مصر أو من أطراف الجزيرة العربية.

١٥. يهود السهندريم

وهم الصفوة من سبعين يهوديًّا من شيوخ إسرائيل الذين يدَّعون بأنهم قد رافقوا موسى إلى خيمة العهد، حيث يذكرهم سفر العدد الإصحاح ١١ (١٦-١٧) بكثير من التمجيد، حيث كانوا هم القضاة والمدبرون لشؤون بني إسرائيل.

١٦. مذهب القبالا في اليهودية

وهو مذهب نشأ في القرن الثالث عشر الميلادي في فرنسا وإسبانيا، فقد كتب موسى ابن شيم كتابه المسمى (زوهار) بتقبل الحكمة والمعرفة عن طريق التأمل في مقاصد النصوص الواردة في التوراة والتلمود، واستخلاص الحكمة المتوارية عن الأنظار، وهذا المذهب يلتقي مع الغنوصية التي ذكرناها سلفًا في المسيحية، وقد ورد في كتاب (زوهار) وصف الخالق بكائن متسام، وينبوع التجليات العشرة النورانية، التي منها العدل والإدراك والحكمة والرفق والفطنة؛ فالخالق عنده يستعصي فهمه على القدرات العقلية للإنسان في كونه غير محدود ولا نهائي، و مذهب القبالا ينحو منحىً روحيًّا، حيث يدعي بأن الفرد يستطيع عن طريق الحكمة والتأمل الوصول إلى ذات الخالق، وهذا المفهوم يقترب من فكرة الحلول، التي نادى بها كثير من المذاهب والديانات، ومنها الفرق الصوفية وفرق من الشيعة، كما هو مفصل في هذا الكتاب، وبسبب الأفكار الغامضة بمذهب القبالا اليهودي، وتكراره لفكرة النور الإلهي، الذي انبعث إلى الكائنات واختلافهم في الآثار الروحية التي تركها هذا النور على الإنسان، اعتبر هؤلاء الدارسون هذا المذهب مذهبًا باطنيًّا يلتقي مع المذاهب الباطنية في تفسيراتها الدينية لمظاهر الطبيعة والنشاط الإنساني، ويدعى أصحاب هذا المذهب بأنهم يهدفون إلى إصلاح العالم من الشرور وإيصال الفرد إلى السعادة المرجوة، وذلك قبل ظهور المسيح المنتظر[١].

١٧. طوائف الدارسين

ويسمون المدارشيم، وهم على أقسام:

---

(١) سهيل بشروئي ومراد مسعودي محمد: تراثنا الروحي، (ص ٤٤٠)، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢م. د. سعد المبارك الحسن محمد: أصول الديانة اليهودية وفروعها ودورها في تكوين عقائد الرافضة، (ص ٢٧)، وما بعدها، ط ٢، دار المنتقى، السودان، ٢٠١١م. صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، (١/ ١٦)، وما بعدها، ط٣، دار الجيل بيروت ١٩٩١م.

أ. همخلتا: وهم أصحاب القياس عند التفسير.
ب. سفرا: وهم جملة من الكهنة الكتَّاب للتوراة.
ج. سفري: وهم مفسرو سفر العدد والتثنية من التوراة.
د. مدراش تخوما: وهم أصحاب المواعظ الدينية.
هـ. مدرا ريابوت: وهم مفسرو الأسفار الخمسة وما فيها من مواعظ.
و. مدراش ريا: وهم مفسرو بقية النصوص الواردة في غير أسفار التوراة.
ز. يلقوط شمعون: وهي مختارات قديمة من المواعظ والنصوص.

وقد أوردت عددًا من فرق اليهود القدماء منهم والمحدثين، لعل الباحثين اليوم يزيدون في دراستها، ويجدون مؤثراتها الفكرية على العرب والمسلمين عمومًا وعلى الشيعة الإمامية (موضع البحث)، فهناك كثير من الالتقاء الفكري بين بعض هذه الفرق والشيعة الإمامية، خاصة ما تعلق منها بانتظار نزول المسيح أو المهدي المنتظر، وما سيفعله كل منهم، حيث سنشير إلى ذلك في موضعه.

رموز اليهودية والصهيونية

١. المنارة: وهي تشبه الشمعدان، نصت التوراة على اتخاذها من ذهب، بصفتها مشعلاً يضيء الظلام، ويشعل بزيت الزيتون، ويكون لها رؤوس سبعة، وعادة توضع في المعابد، وتدل على يهودية حاملها.
٢. نجمة داود: وهي صورة النجمة ذات الرؤوس الستة، التي تنسب إلى نبي الله، ولتقديسها وضعتها إسرائيل في علمها، وقيل ترمز لدرع داود، ولعبادة النجوم قديمًا.
٣. اللون الأزرق: وقد ذُكرت في مواضيع كثيرة في التوراة، منها زرقة ماء البحر عند ذكر الأسماك، التي يجوز أكلها، والأخرى الملساء التي يحرم أكلها، وقد اتخذت إسرائيل علمها باللون الأزرق، وينص التوراة على اتخاذ أهداب زرق في الشال الذي يتخذ للصلاة.
٤. مزوزاه: عصاة الباب: وهي قطعة من الجلد، توضع على يمين الباب، يكتب عليها بالعبرية (حامي أبواب إسرائيل).

obeikan.com

٥. التفيلين: وهما صندوقان صغيران من الجلد، يوضعان على الرأس أو في أصابع اليد عند الصلاة، ويكتب بداخلها أدعية.
٦. الطليت وتصيت تصيت: العباءة والشال والأهداب والطاقية، التي توضع غالبًا في الصلاة.
٧. لفائف الشريعة: وهي قطع من القماش أو الجلود أو الحرير، يكتب عليها التوراة، أو بعض أسفارها، فتوضع في المعابد أو المكاتب بصفتها مرجعًا للتلاوة.
٨. تابوت العهد: وهو تابوت من الخشب مغلق، وله أرجل مذهبة، أمر اليهود أن يحفظوا فيه وصايا الرب لموسى، وهم يحملونه ويتباركون به في حروبهم.
٩. لفائف البحر الميت: في سنة ١٩٤٧م عثر راعي الغنم محمد الديب في إحدى المغارات قرب أريحة على لفائف من الجلد، قام المستشرق الأمريكي جون تريفر بدراستها، فوجدها من أقدم ما كتب من نصوص التوراة، قبل الميلاد بقليل، فقام اليهود بالتفتيش في المنطقة وما حولها، فوجدوا إحدى عشرة مغارة، تحتوي على بعض تلك اللفائف.
١٠. الغوييم: يعد رمزًا لاسم غير اليهودي المحتقر، بسبب التمييز العنصري أو الديني، ويرد هذا الرمز في النصوص القديمة.
١١. الجيتو: وبسبب عيش اليهود في أحياء منعزلة عن غيرهم في أوروبا خاصة، بقصد أن يأخذوا حريتهم في ممارسة طقوسهم الدينية وأنشطتهم الاجتماعية، فيرى بعض الباحثين أن فكرة الصهيونية قد نبتت في الأحياء المتعصبة للعنصر اليهودي.
١٢. هرمجدون: وهو جبل في شمال فلسطين، يبعد عن القدس ٩٠ كيلو مترًا، يدعي اليهود بأنه ستقع فيه عند ظهور المسيح المنتظر حرب عظيمة بين اليهود وأعدائهم، فينتصر فيها المسيح وأتباعه الصهاينة المدعون لهذه الأقوال، ذكر منهم رونالد ريغان وبوش، وجملة من المسيحيين المتصهينين، الذين يعتقدون أن يهود إسرائيل سيمهدون لظهور المسيح، حيث يعم السلام والصلاح.

وعند الشيعة الإمامية رموز وألفاظ خاصة بفرقتهم: مثل التربة الحسينية ومثل ألفاظ: (المخالفون، الغاصبون، النواصب)، ولكل أحكام شرعية مفصلة في كتب الفقه عندهم.

الصهيونية

كلمة صهيون كلمة كنعانية، سُمي بها جبل مطل على القدس (أورشليم) أو (إيليا) التي بناها الكنعانيون العرب القادمون من الجزيرة العربية قبل الألف الرابع قبل الميلاد، فاليهود يعدون تاريخيًّا دخلاء نازحين إلى هذه المنطقة، تعرض اليهود إلى الشتات في جميع الأرض، ولكن يهود أوروبا تنبهوا قبل غيرهم من اليهود إلى وجوب طلب الحرية والنهضة، وتغيير ما هم عليه من سكن منعزل في مستعمرات الجيتو داخل البلاد الأوروبية، حيث تأثروا بالنهضة الصناعية والفكرية في أوروبا، فتولد بينهم حركات قومية تطالب بلم شتاتهم والنهوض بأحوالهم، وكان من أوائل المفكرين بهذا الاتجاه تيدور هرتزل، الذي كتب كتابًا سنة ١٨٩٧م اسمه (روما والقدس)، فقد دعا المؤتمر اليهودي العالمي الأول في مدينة (بازل) في سويسرا، و قد تسمى هذا المؤتمر بالمؤتمر الصهيوني الأول، حيث طرح فيه على اليهود إقامة وطن قومي لهم، وتسمية المؤتمر بالصهيوني يرمز إلى جبل صهيون المذكور إلى القدس وإلى فلسطين عامة، وهناك صهيونية مسيحية بروتستانية نشأت عن انشقاق بعض البروتستانت إلى فرقة سمت نفسها بالتطهيريين، فكانوا من أوائل المهاجرين إلى أمريكا، تبنوا التعصب الديني والتمسك بتعاليم العهد القديمة (اليهودية) والعهد الجديد (الأناجيل المسيحية).

وقد انشق الملك البريطاني هنري الثامن حوالي سنة ١٥٣٨م من الكاثوليكية إلى البروتستانتية، فنشأت الكنيسة الأنجليكانية ولم يتبعوا البابوية، وقاموا بنشر وطباعة التوراة وتوابعها، حيث أصبحت جزءًا من ديانتهم سموه بالعهد القديم، تفريقًا له عن العهد الجديد المقصود به الأناجيل المسيحية، وهؤلاء حينما اقتربوا من دراسة اليهودية وترجمة مصادرها كانوا من أوائل المناصرين إلى إقامة وطن قومي لليهود، منهم المستشار البريطاني في القصر الملكي هنري فنش، دعا صراحة لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وفي سنة ١٧٠٤م كتب ناتانيال كروش كتابه (رحلتان إلى القدس) دعا فيه إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، كما أن مثل هذه الدعوة قد جاءت في كتاب جان جاك روسو (أميل) الصادر سنة ١٧٦٢م، وفي بريطانيا سنة ١٧٤٠م نشر اللورد أشلي مقالة لمشروع إقامة وطن يهودي في فلسطين في جريدة التايمز (٨/١٨)، ولهذا

يبدو أن البروتستانت وخاصة من طائفة التطهريين من أوائل المتحمسين والمساعدين لليهود على إقامة وطن قومي في فلسطين، وذلك فيما يبدو بدوافع فكرية متأثرين بالفكر الديني، الذي سبق لنا توضيحه من جهة، وبما أصاب اليهود من شتات، وربما كان الغرض الخلاص من نفوذهم ومشكلاتهم في أوروبا، التي ظهرت في العديد من المناسبات، كان آخرها التحالف اليهودي ضد ألمانيا الهتلرية.

أنشأت الملكة فيكتوريا صندوق استكشاف فلسطين ورئاسة كنيسة كانتربري، وكان غرضه التمهيد للمشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين، وفي سنة ١٦٤٢م تم مناقشة أول رسالة جامعية عن حقوق اليهود في فلسطين، وذلك بتأثر من الاتجاهات المسيحية الصهيونية (المتطهرين)، وفي سنة ١٨٥٢م تم تعيين وردر غريسون الذي تحول من الطائفة المسيحية الصهيونية إلى اليهودية، تم تعيينه قنصلاً للولايات المتحدة في فلسطين، وأنشأ أول مستوطنة يهودية في فلسطين على حسابه الخاص، وفي سنة ١٨٤٠ قامت طائفة المورمين في أمريكا بإرسال أورسون عايد إلى فلسطين، للتمهيد إلى جمع شتات اليهود بتمويل من هذه الطائفة التي كانت منتشرة في ولاية يوتاه، وكان لها توجهات صهيونية، ومن أوائل من أعلن دعمه للمشروع الاستيطاني لليهود في فلسطين من رؤساء الولايات المتحدة هو الرئيس جون آدامز سنة (١٧٦٧ـ ١٨٤٨م)، وفي سنة (١٨٧٨م) ألف القس وليام بلاكستون كتابه (عيسى قادم)، وقد ترجم إلى عدة لغات، وفيه دعوة إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بدعوة نبوتهم بظهور المسيح المنتظر، ثم أسس في شيكاغو البعثة العبرية إلى فلسطين، وقد تحول اسمها الآن إلى (الزمالة اليسوعية الأمريكية).

معركة هرمجدون

اتسع نفوذ المسيحية اليمينية المتصهينة على يد الكثير من طائفة المتطهرين السابق ذكرهم، وبعد انتصار إسرائيل في حرب ١٩٦٧م واحتلالها القدس، ظهرت بين هؤلاء الأمريكيين مقولة حصول معركة كبيرة في فلسطين، يظهر في قيادتها المسيح المنتظر، وعززوا فكرتهم بما ورد من نبوة في العهد القديم سفر دانيال الإصحاح ٧ (١٣) «وكنت أنظر في رؤياي ليلاً، فإذا بمثل ابن إنسان آتٍ عليَّ أمام السماء، فبلغ أعلى قديم الأيام

وقرب إلى أمامه، وأوتي سلطانًا ومجدًا وملكًا، فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه، وسلطانه سلطان أبدي لا يزول، وملكه لا ينقرض».

وقد آمن بهذه كثير من الساسة والكتاب والإعلاميين، حيث دعوا إلى تأييد إسرائيل، ومدها بالمال والسلاح، كي يقربوا بزعمهم من ظهور المسيح المنتظر وحصول هذه المعركة العظيمة بين الأمم، التي ستنتصر فيها المسيحية المتصهينة، والتي بزعمهم تستخدم اليهود وعقيدتهم التوراتية لأغراضهم، ومن أشهر معتنقي هذه العقيدة والمساعدين لنتائجها: رونالد ريغان وبوش من الرؤساء، ومن رجال الدين بيلي غراهام وفرانكلين غراهام وبات روبرسون وجيري فالويل وجيري فاينز، وقد شجعوا في هذه الحقبة توطين يهود الاتحاد السوفيتي في إسرائيل. إن تشجيع أوروبا وأمريكا لليهود، وإقامة دولتهم التي قامت على اغتصاب أراضي وبيوت الفلسطينيين، وتعهدهم بأمن إسرائيل على حساب العرب والمسلمين، كل ذلك يجري بالظلم واغتصاب الحقوق، ومثل هذا العمل لا يحمل مقومات وجوده في المستقبل، وذلك بسبب تغيير القوى الفاعلة في المستقبل: و﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الروم: ٤، وسيكشف المستقبل نتيجة الصدام الذي سيحصل في هذه المنطقة، وما سيكون عليه موقف الشيعة الإمامية خاصة، ويستطيع القارئ الكريم التنبؤ مستندًا إلى بوادر الصدام الحاصل اليوم في الشام والعراق واليمن.

العنصرية اليهودية

بَنت اليهودية تعاليمها الدينية التي كتبها أحبارها على فكرة كون اليهود عنصرًا متميزًا، خلقه الله دون سائر البشر، له من الحقوق والمميزات ما ليس لغيره، فاليهود في تعاليمهم لهم الحق في القتل والإجرام ضد المخالفين، فقد ورد في العهد القديم سفر يشوع الإصحاح ٨ (٢٤- وما بعدها) ما يفيد بأن بني إسرائيل قد تعرضوا في الصحراء إلى القتل، ولكن يشوع بن نون قام بالاستيلاء على خصومهم وعلى مواشيهم، فجعل بلاد الأعداء خرابًا، فمر بنو إسرائيل بويلات ذاقوها على يد كثير من الشعوب، التي استوطنوا بلادهم، مما جعلهم يلتفون حول أنفسهم، وأن لا ينام ويستقر غيرهم، فنشأ مجتمعهم

الانعزالي على قتل الغير، وقد طبعوا هذا الاتجاه بوضوح في تعاليمهم الدينية، فقد ورد في التلمود: «اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ويَحرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها، لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين»، وهذا واضح في مسلك اليهود الإسرائيليين، ومعاملتهم للفلسطينيين، واشتهار ذلك بما لا يحتاج إلى بيان أو برهان.

وتتكرر قسوة الشيعة ضد مخالفيهم بالحروب والقتل، كما أوضحنا ذلك في مسلكهم منذ القديم في بلاد الشام.

أثر اليهود في فرق الشيعة في العصر الحديث

فرقة البابية

أسسها (الميرزا) السيد محمد الشيرازي المولود سنة ١٨١٩م في شيراز، وكان على مذهب الشيعة الاثني عشرية، وعند بلوغه الخامسة والعشرين ادعى بأنه باب الله، وأنه يتلقى علومه من الإمام المهدي المنتظر، وكلمة الباب تتردد في كتب الشيعة القديمة، حيث تذكر روايات من أحاديث تذهب بأن الإمام علي هو باب الله، أو هو باب مدينة العلم، أو أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو مدينة العلم وعلي بابها، ولهذا سمي أتباع هذا الرجل بالبابية، ثم ادعى بعد ذلك أنه هو المهدي المنتظر، وصدَقه أتباعه لما لهذه العقيدة من رسوخ في مذهب الشيعة الاثني عشرية، وقد كثر أتباعه في إيران، فادعى أنه نبي مرسل بكتاب اسمه البيان، وادعى أن روح النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قد حلت به وتأول لصالحه قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ الرحمن: ٣ - ٤، ثم تمادى في دعواه، فقال: إنه هو قيوم الأسماء، وأنه مرآة الله. وهذا يفسر ادعاءه بالألوهية، أو أن الله قد حل به، وقد تبرأ منه علماء الشيعة الاثني عشرية، وكفروه، وطالب بعضهم بقتله، إلا أن السلطان اقتنع بمقولة من قال: إنه مجنون. أو معتوه. فقام بسجنه، ولكن دعواه قد انتشرت فادعى البابية أن شريعة الإسلام والقرآن الكريم قد نُسخت بشريعة الباب، وفي سنة ١٨٤٨م تجمع دعاة رؤوس البابية في مؤتمر (بدشت) قرب مدينة ما زندران

تناقلوا فيه آراءهم، فنادوا بنسخ تعاليم الإسلام، والتحلل من الصلاة والصيام وقواعد الشريعة، ونادوا بإباحة المحرمات مثل ما نادت قبلهم المزدكية.

وقد أيد اليهود الحركة البابية هذه لأنها تلتقي مع أفكارهم المتعلقة بالتناسخ والحلول، التي أوضحناها في المباحث المتعلقة بالرجعة والسبئية وبعض الفرق الصوفية وفكرة المهدي المنتظر، فلا حاجة لترديدها هنا، وذُكر أن الذي أثر بأفكار الباب منذ نشأتها شخص روسي، أثار في فكره تلك التعاليم التي ادعاها الباب وأتباعه، وتلتقي هذه الأفكار بأفكار اليهودي كارل ماركس الذي كتب كتابه المشهور (رأس المال)، وكذلك تلتقي بفكرة الإباحية التي اشتهر بها كثير من الفرق المارقة في إيران، كما ذكر أن القنصل الروسي بإيران في وقت سجن الباب، تدخل لدى السلطان محاولاً إطلاق سراحه، وعملت روسيا ومن ورائها اليهود وقتها على حماية البابية، واستخدامها لأغراضهم السياسية ضد المسلمين[١].

وقد ادعى الباب: أن لا نبي بعده، فحصر النبوة بنفسه، وقيل: إنه كاتب الشيخ الآلوسي في بغداد موضحًا له دعواه، ولما تيقن من تنفيذ حكم الإعدام به، وهو في السجن قام بإرسال أوراقه ومقلمته، وما خلفه من متاع إلى تلميذه الميرزا حسين علي المازندراني (الذي لقب بعد ذلك ببهاء الله)، وكان من أتباع الباب، ومن تلاميذه المقربين يحيى بن علي المازندراني، الملقب بصبح أزل. فمن هنا انقسمت فرقة البابية إلى ثلاثة أقسام، خاصة بعد مؤتمر (بدشت) السابق الإشارة إليه:

١. فرقة تزعمها بهاء الله المذكور، وذهبت إلى طهران.
٢. وفرقة تزعمها من يدعي بالقدوس، ومعه امرأة نافذة من البابية، اسمها (قرة العين)، هؤلاء ذهبوا إلى مازندران.
٣. وأما الفرقة الثالثة هي الأصلية، فقد تزعمها من يدعى بباب الباب (البشرؤي)، وقد استوطنوا خراسان.

(١) د. فرج الله عبدالباري: مصدر سابق، (ص٥٣-٦٧-٦٨)، دار الآفاق العربية، ط ١، سنة ٢٠٠٦ م، القاهرة.

فرقة البهائية

وهي فرقة منسلخة من البابية، حيث كان الميرزا حسين علي المازندراني تلميذًا من أتباع الباب، وقد ولد سنة ١٨١٧ م في قرية (نور) من قرى مازندران بإيران، وقد تشبعت آراؤه بالبابية منذ شبابه، ولكن حينما بلغ السابعة والعشرين من عمره حاول التسلق، وأخذ مركزًا متقدمًا في البابية، ولكن الباب صده عن ذلك، ولمَّا وجده ذا جراءة وخطورة قدم عليه أخاه (يحيى بن علي المازندراني)، الذي لقب فيما بعد (صبح الأزل)، وبعد إعدام الباب تسلم بهاء الله قيادة البابية، ودخل مع أخيه يحيى الملقب (بصبح الأزل) في صراع على الزعامة، ولكي لا يستفحل الخلاف بين الطرفين قام السلطان بنفي صبح الأزل وأتباعه إلى قبرص، ونفى بهاء الله وأتباعه إلى عكا بفلسطين، وذلك بالاتفاق بين السلطان ناصر الدين (حاكم إيران) والسلطان العثماني.

وفي بداية الأمر كانت آراء بهاء الدين مؤسسة في أصلها على أفكار الباب، ولكنه ادعى النبوة مخالفًا بذلك دعوة سيده الباب بأنه خاتم الأنبياء. وقد كتب بهاء الله إلى السلطان ناصر الدين بدعوة النبوة، وأنه أُرسل بنور رباني لهداية الخلق، وانتشرت هذه الدعوة في عكا، ولما حضرت الوفاة لبهاء الله أوصى لابنه عباس، وقد تضاربت الأقوال؛ فالبعض نقل بأن الباب قد أوصى بخلافته إلى تلميذه يحيى المازندراني، الذي لقبه بصبح الأزل، ولكن بهاء الله اختطف الزعامة، وعلى العموم هذه الفرق قد كفرت بعضها بعضًا، وادعت بأنها الوحيدة على الحق، وقد وجدت اليهودية والصهيونية مبتغاها في هذا المذهب، الذي يلتقي في أهدافه مع أهدافهم في تضليل المسلمين والإكثار من تفرقهم، وتطورت دعوة البهائية إلى فكرة التحلل من قيود وأحكام الشريعة الإسلامية، واعتبارها قد نسخت، وأضفوا على زعيم البهائية صفات الخالق، وأن نور الله وبهاءه قد حل به، ونادت البهائية بفكرة المساواة بين البشر، والمناداة بالحرية، ومنعت البهائية تعدد الزوجات، متأثرة بالعداوة الغربية، ومنع الطلاق إلا في حدود ضيقة جدًّا، وعدم الالتزام بالعدة المشروعة. وطورت البهائية ديانتها إلى ما يشبه الصوفية، والذكر الذي قد يصاحبه العزف الموسيقي، وقالوا: إن قبلتهم ليست إلى الكعبة، بل إلى الله حيثما يكون، وفسرها بعضهم مكان زعيمهم بهاء الله، ودعت البهائية إلى فكرة وحدة جميع الأديان، وأنهم يأخذون من كل دين أحسنه

وأيسره، وما اقترب على قبوله، وقد استمال مذهب البهائية كثيرًا من الناس، حيث ترى البهائية أنه لا ضير أن يكون المسلم بهائيًّا والمسيحي واليهودي والهندوكي كذلك، فاتسع أنصارهم من جميع الملل، وأصبحوا مذهبًا عالميًّا غير محدود.

جهود اليهود في إسقاط الخلافة العثمانية

كان اليهود في إسبانيا والأندلس مضطهدين من قبل نصارى الإسبان، وعندما فتح العرب الأندلس، وأقاموا فيها دولتهم اعتبر اليهود الفاتحين العرب منقذين لهم من ظلم الإسبان، ولهذا عاش اليهود في الأندلس أيام الفتح الإسلامي أحرارًا في ديانتهم، ولم يتعرض لهم العرب بأي سوء، مما جعل نصارى الإسبان حينما ضعف الحكم العربي في الأندلس ينقضون مرةً أخرى على اليهود والعرب معًا، وقد دفع هذا كثيرًا من اليهود إلى التحول إلى الديانة النصرانية، وربما كان كثيرًا منهم يخفي ديانته اليهودية تحت ستار التظاهر بالنصرانية، ولكن تنبه النصارى الإسبان أخيرًا إلى هذا السلوك اليهودي، فنكلوا بهم مما دفع الكثير منهم إلى الهجرة خارج إسبانيا، وقد وصل منهم حوالي ثلاث مئة ألف يهودي إلى تركيا في عهد السلطان مراد الثاني، وكان لتسامح المسلمين الأتراك أثر كبير في تقبل هؤلاء اليهود، الذين تركزوا خاصة في مدينة أزمير وأدرنه، ثم انتشروا في عموم تركيا، وسيطروا على التجارة وبعض مفاصل الدولة، خاصةً أولئك الذين دخلوا الإسلام، سواء عن قناعة أو عن تقية وتستر.

لقد كانت جهود اليهود في تركيا منصبة على ما يأتي:

١. التجنس بالجنسية الأجنبية خاصة الأوروبية، تجنبًا لأداء الخدمة العسكرية المفروضة آنذاك، والتمتع بحماية الدولة الأجنبية وسفارتها في الدولة العثمانية.
٢. تظاهر أغلب هؤلاء اليهود بدخولهم الإسلام، وعُرفوا عند الأتراك باسم يهود الدونمة، أي أصحاب الانتماء الثنائي: (اليهودية والإسلام)، وقد نشطوا في المجالات التجارية، إلى أن وصلوا عن طريقها إلى النفوذ السياسي، فتقلد كثير منهم مناصب في الحكومة العثمانية، ومن أشهر اليهود الذين دعوا إلى الإسلام، وأصبح لهم نفوذ تجاري على سبيل المثال (محمد أفندي، ولقبه قافوجي باشي

إطراق) الذي توفي سنة ١٩٧٥م كما أن زوجته سارة دخلت الإسلام وسميت فاطمة، وقد عُرف عند المسلمين الأتراك في أدرنة بتخفيه بالإسلام.

ومن السياسيين اليهود الذين أصبح لهم نفوذ كبير مدحت باشا، الذي أصبح صدرًا أعظم، وعينه السلطان على ولاية العراق، ثم بعد ذلك الشام، ولكن اُكتشفت خيانته في عهد السلطان عبدالحميد فحكم عليه بالإعدام، ثم خفف الإعدام إلى السجن.

٣. قام يهود الدونمة في تركيا بإنشاء الجمعيات الماسونية السرية، ثم أسسوا جمعيات علنية تلتقي مع أهداف اليهود الصهيونية، مثل جمعية تركيا الفتاة، التي جرَت كثيرًا من الساسة الأتراك الذين خدعوا بأهدافها الظاهرية المتعلقة بتحرير تركيا من سطوة الدين الإسلامي على المجتمع إلى أن وصل الحال إلى إعلان التمرد على السلطان العثماني والمجاهرة بتخلف الديانة الإسلامية، وأنها هي سبب خذلان الدولة العثمانية، وقد امتد نفوذهم الصهيوني إلى مصر، ومن هذه الجمعيات أيضًا جمعية الاتحاد والترقي ذات الأهداف الصهيونية، التي انضم إليها كثير من اليهود، بل إن مؤسسها هو اليهودي إبراهيم تيمو من يهود الألبان، وقد تحالفت في جهودها مع البريطانيين في إسقاط الخلافة العثمانية، وامتد نفوذها أيضًا إلى مصر بجهود من اللورد كرومر حاكم مصر إبَّان الاحتلال البريطاني.

٤. عمل يهود الدونمة في تركيا على إثارة الأقليات من غير الأتراك على السلطة العثمانية، وعمل الوقيعة بين السلطان العثماني وتلك الأقليات بادعاء أن تلك الأقليات كانت مسلوبة الإرادة ومضطهدة، ومن أهم الأمثلة التي تنسب لليهود في هذا المجال عمل الوقيعة بين السلطان عبدالعزيز والأرمن، التي تفاقمت جذورها بما لا يحمد عقباه من إثارة الأرمن ضد السلطة، واضطرار السلطة في وقتها بمعاقبة من استجاب من الأرمن بتلك الوقيعة، وقد اتهم اليهود الأرمن بالتجسس والتأهب لاغتيال السلطان، وتهريب الأموال خارج تركيا، وادعى اليهود أن الأرمن يُحضرون للقيام بثورة ضد السلطان، كما فعلوا الشيء نفسه مع العرب.

٥. طالب اليهود صراحةً السلطان أن يسمح لهم وليهود العالم بالهجرة والإقامة في فلسطين، بعد تخطيطهم الذي تم في مدينة بال سنة ١٨٩٧م بزعامة هرتزل، الذي التقى بالسلطان عبدالحميد، وقدم له إغراءات مالية كبيرة، ولكن السلطان رفض جميع ما طلبه هرتزل، وما عرضه من دفع خمسة ملايين ليرة ذهبية، وقد كرر عرضه ثلاث مرات على السلطان، كان آخرها سنة ١٩٠٣م، والسلطان يكرر عليه بأن فلسطين هي لجميع المسلمين، ولا سلطة له في بيعها، فكان نتيجة كل ذلك تآمر اليهود وإثارة الأقليات في البلقان والأرناؤوط والأرمن وغيرهم، ومحاولة اغتياله إلى أن توصل اليهود بدهائهم إلى استصدار قرار من مجلس الأعيان بعزل السلطان عبدالحميد، وقام بإبلاغ السلطان بهذا القرار اليهودي (عُمانوئيل قره صو)، وقد فصَل السلطان في رسالته إلى الشيخ أبي الشامات، كيف سعى اليهود في عزله، وإثارة القلاقل ضده، نتيجة رفضه لعروضهم (هو الشيخ محمود أبو الشامات شيخ الطريقة الشاذلية) حتى انتهى الأمر بعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى، وانكسارها أمام الحلفاء، وتقسيمها في معاهدة سايس بيكو، وتولى مصطفى كمال أتاتورك تنفيذ المؤامرة في إسقاط الخلافة العثمانية، وإنشاء دولة تركية علمانية، كما هو معروف عن سيرة أتاتورك.

وقد اعترفت دائرة المعارف الماسونية بجهود أتاتورك المتعلقة بما يأتي: إبطال السلطنة، إلغاء الخلافة، إبطال المحاكم الشرعية، إلغاء دين الدولة الرسمي، إلغاء الأوقاف[١].

طقوس وعقائد لليهود

السحر والكهانة عند اليهود

إن السحر والكهانة كانت من ممارسات المجتمعات القديمة، تُستخدم برغم ادعاءاتها الباطلة لكي يوهم بها من يتطلع إلى كشف الأسرار ومعرفة المستقبل، ويبدو أنها كانت ممارسات شائعة في عهد الفراعنة وفي المجتمع الإسرائيلي اليهودي، برغم أن هذه الممارسة قد حرمتها نصوص التوراة في سفر تثنية الاشتراع. الإصحاح ١٨ الفقرات

(١) د. فرج الله: مصدر سابق، (ص ١٤٢)، وما بعدها.

(٩-١٨) «حتى إذا دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك إياها، فلا تتعلم أن تصنع مثل رجس تلك الأمم، لا يكن فيك مؤمن يحرق ابنه أو ابنته بالنار، ولا من يتعاطى عرافةً ولا منجمًا ولا متكهنًا ولا ساحرًا، ولا من يشعوذ، ولا من يستحضر الأشباح أو الأرواح، ولا يستشير الموتى، لأن كل من يصنع ذلك هو قبيحة عند الرب، وبسبب تلك القبائح سيطرد الرب إلهك تلك الأمم من أمامك، بل كن كاملًا لدى الرب إلهك؛ لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب، وبسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك، وأما أنت فلم يُجز لك الرب إلهك مثل ذلك».

كما أن التوراة ذكرت بأن الله قد أيَد موسى وهارون بمعجزة انقلاب عصاه إلى حية، أكلت جميع حيات سحرة فرعون؛ ففي سفر الخروج الإصحاح ٧ الفقرات (٨-١٣) ورد «.... فألقى هارون عصاه أمام فرعون وحاشيته فصارت تنينًا، فدعى فرعون أيضًا العلماء والعرافين، فصنع سحرة مصر كذلك بسحرهم، ألقى كل واحد عصاه فصارت العصي تنانين، فابتلعت عصا هارون عصيهم، فتقسى قلب فرعون ولم يسمع لهما، كما قال الرب».

كما تحكي التوراة: أن سلط الله على فرعون وقومه انقلاب مياههم إلى دماء، وانتشار الضفادع والبعوض والذباب، وموت المواشي، والقروح، كل ذلك بسبب عدم إيمان فرعون، ورفضه خروج بني إسرائيل من مصر، حيث ورد تفصيل ذلك في سفر الخروج الإصحاح الثامن.

وقد أثرت دعاوى السحر والكهانة والشعوذة على الكوفة قديمًا، وحصلت حوادث تم فيها معاقبة والي الكوفة (عبدالله القسري) لبعض المشعوذين، وهذا الموضوع يتكرر في مجتمعات الشيعة الجهلة إلى يومنا الحاضر، حيث يصدقون شيخ العرافين في قراءة الطالع، وربما مارسوا السحر لأغراض شتى، وسنشير للمصادر في موضعها القادم.

الصلاة عند اليهود

تسبق الصلاة غسل اليدين، أو ربما الاغتسال للجسد كله، وتؤدى الصلاة فرادًا في البيت، أو أي مكان، كما تؤدى جماعة في المعبد ثلاث مرات في اليوم: عند الفجر، وعند

الظهر، وفي المساء. ويُدعى للصلاة عن طريق البوق، وتؤدى الصلاة للرجال غالبًا واقفين أو جالسين أو ساجدين، ويجب تغطية الرأس، ووضع شال على الكتفين، كما يقوم بعضهم بوضع صندوق من الجلد صغير على الرأس أو على الكتف أو على إحدى الأصابع، يحتوي على التعاليم للرب يدعى (التفيلين) أن يقبل صلاته ودعاءه، وفي الصلاة يتم قراءة أدعية أو بعض نصوص من التوراة في الصلاة الجماعية في المعابد، وقد يتم فيها الأناشيد والمزامير، ومن الأدعية المشهورة عندهم في الصلاة: «الحمد لك، لأنك لم تجعلني وثنيًّا ولا عبدًا ولا امرأة»، كما ورد في التلمود الدعاء الآتي: «شكرًا للإله الذي جعلني إسرائيليًّا، والذي لم يجعلني امرأة، ولا خلقني فظًّا غليظ الطباع»[1].

ويقرأ في الصلاة نص الشماع أيضًا (السماع) ونصه: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» (تثنية ٦/٤-)، وهو يشبه منطوق الشهادة عند المسلمين، ولكن الإله الواحد عند اليهود يعدونه إلههم دون بقية الشعوب في حين يرى المسلمون أن الله إله واحد لجميع الخلق.

ولعل صلاة الشيعة الاثني عشرية على التربة الحسينية لها علاقة بما نقلناه سابقًا من وضع الصندوق الصغير على جباههم، كما يتلون في صلاتهم أو بعدها أدعية فيها شتم الخلفاء الثلاثة ومخالفي الشيعة عمومًا.

الصيام عند اليهود

يتم الصيام عند اليهود في بعض الأيام، وذلك بسبب المناسبات التاريخية التي مروا بها، مثل صيام الغفران، واليوم العاشر من شهر تشري، وهو الشهر السابع من السنة العبرية، وكذلك صيام يوم الثامن عشر من شهر تموز يونيه، قيل: إنه يوم تحطم ألواح التوراة المقدسة، أو أنه يوم هدم الرومان أورشليم سنة ٧٠م، وكذلك صيام التاسع من شهر آب، وهو يوم هجوم الملك نبوخذ نصر على أورشليم، أو صيام يوم أستير، وهو اليوم

(١) أسعد السحمارني: ترجمان الأديان، (ص ٢٤٩ -٢٧١-٢٧٦-٢٨٦) دار النفائس، بيروت، ط/٢، ٢٠١٢م. ويراجع في هذا الموضوع ما كتبناه في كتابنا (أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة) (ص ١٣- ٧٢)، كما يراجع كتابنا (جذور التشيع) من (ص١٢٠ تحت عنوان (علاقة العرب والشيعة باليهودية والديانات القديمة) إلى ص ١٩٨)، كما يراجع كتابنا (أثر العناصر الأجنبية في فكر بعض الشيعة الاثني عشرية) الفصل المتعلق بالمدارس اليهودية وكنائسهم.

الذي أنقذت فيه أستير اليهودية الشعب اليهودي من مكيدة وزير الملك الفارسي دارا، حيث كانت جميلة، تعرضت للملك فتزوجها، وطرد وزيره تحقيقًا لرغبتها، كما يوجد أيام صيام أخرى وردت في التلمود، كعشرة أيام قبل يوم الغفران، وأيام الخميس في السنة الكبيسة، وصيام العروسين قبل الزفاف، أو الصيام بمناسبة وفاة الوالدين[١].

وعند الشيعة الإمامية يسن الصيام في عدة مناسبات، ذكروها في كتب الفقه، أغلبها متعلقة بتواريخ أئمتهم، كما سنذكر ذلك في موضعه.

تقديس يوم السبت عند اليهود

يقدس اليهود يوم السبت، فلا يعملون فيه، ولا يشعلون نارًا، وقديمًا لا يحلون فيه حربًا، ويدَّعون أن الله قد استراح في هذا اليوم بعد أن خلق الكون في ستة أيام، فحريًّا بشعبه أن يفعل مثله، تعالى الله عن ذلك، حيث نفى سبحانه في القرآن الكريم أن يكون قد تعب، فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ ق: ٣٨، فكان اليهود غالبًا لا يسافرون في هذا اليوم، ولا يعقدون زواجًا، ولا يعقدون عقد إجارة، ولا يقبضون أو يدفعون مالًا في هذا اليوم، ولكن فيما بعد أحل لهم كهنتهم بعض هذه الأعمال لعدة مبررات، منها الدفاع عن النفس في الحرب، وقد بالغ بعض اليهود في تحريم العمل يوم السبت، فقد حكى لي أحد الرجال من نجد والساكنين في مدينة البصرة في العراق، حيث كان فيها كثير من اليهود قبل رحيلهم إلى إسرائيل، فقال: كنت في ضحى أحد أيام السبت ماشيًا في الطريق، فأشارت إليَّ امرأة بيدها: أن اتبعني. فتبعها إلى أن دخلت البيت، فدخل وراءها، فطلبت مني أن أفتح مصباح الكهرباء، و إشعال موقد النار. وقالت معتذرة: أنا يهودية، لا يحل لنا يوم السبت أن نشعل نارًا، ولا حتى نفتح نور المصباح. وشكرتني، وخرجت، ويبدو أنها قد اعتادت على مثل هذا الطلب كل سبت، وعلى رأس كل شهر قمري أهمية عندهم، حيث يقدسون هذا اليوم، ويجب على اليهودي التحري جيدًا عن أعماله، ويسمى عندهم عيد الهلال، وخاصة إذا وقع في رأس السنة اليهودية، والتي تبدأ في شهر

(١) حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي وأطواره ومذاهبه، (ص ١٩٠)، الإسكندرية، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧١م.

تشرين الأول أكتوبر، وفي اليوم الرابع منه يصومون تذكارًا لليوم السيئ الذي نَصب فيه نبوخذ نصر أحد ولاته على يهود فلسطين، وفيه يكثرون من الصلاة والطلب من الرب بتعجيل ظهور المسيح المخلص، وهذا اليوم يسمونه عيد الغفران، حيث يجب على كل يهودي أن يتوب فيه إلى الله، ومن الأيام المهمة عند اليهود عيد الفصح، وهو اليوم الذي تم فيه خروج اليهود من مصر، بعد أن تجهزوا لهذا الخروج، وأخذ ما تيسر من ذهب، وفيه تمت الوصية بأن يعملوا خبزهم فطيرًا، وهم على عجلة من أمرهم للخروج، حيث إن تخمير العجين سوف يؤخرهم، ولهذا ارتبط أكل الفطير بعيد الخروج.

ففي سفر الخروج الإصحاح ١٣ الفقرة ٣ وما بعدها: «فقال موسى للشعب: أذكر ذلك اليوم الذي خرجتم فيه من مصر، من دار العبودية، لأن الرب أخرجكم بيد قوية من هناك، فلا يؤكل خمير».

«اليوم الذي أنتم خارجون فيه هو في شهر أبيب، تقيم هذه العبادة في ذلك الشهر: سبعة أيام تأكل فطيرًا في اليوم السابع عيد للرب... وتخبر ابنك في ذلك اليوم، قائلاً: هذا لسبب ما صنع الرب إلى حين خرجت من... لأن الرب بيد قوية أخرجك من مصر». وقد ارتبط بهذا اليوم طقس الذبح، حيث ورد في الوصية بذبح كبش، وتلطيخ دمه على باب، فقد ورد في سفر الخروج الإصحاح ١٢(٢٠-٢٢) «فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل، وقال لهم: اقتطعوا، وخذوا لكم غنمًا، بحسب عشائركم واذبحوا الفصح، ثم تأخذون باقة زوفى، وتغمسونها في الدم في الطست، وتمسون عارضة الباب وقائمته بالدم الذي في الطست، ولا يخرج أحد منكم من باب منزله إلى الصباح». وعند بعض فئات من اليهود المتعصبين ضد المسلمين أو المسيحيين قديمًا عمل فطيرة الخبز، معجونة بتلك الدماء، أو يستعاض عنها بدم غير يهودي يذبح إن أمكن، فقد ذكر نجيب الكيلاني في كتابه (دم لفطير صهيون) بيروت، دار النفائس، ط ٨، سنة ٢٠٠٢م. إن يهود باب توما بدمشق سنة ١٨٤٠م قام كل من سليمان الحلاق والثري داوود هراري والحاخام موسى أبو العافية والحاخام سلانيكي وآخرون بخطف الأب اليسوعي في ٢ ذي الحجة من تلك السنة، فذبحوه وعملوا فطيرة من دمه، فكشف مؤتمراتهم، وتمت محاكمتهم. وتتردد مثل هذه

القصة في مصادر كثيرة عن أطفال اُختطفوا من يهود، لهذا الغرض في كل من العراق واليمن، ومن الأيام المهمة عند اليهود يوم عيد المظلة، وهو يوم يدعون فيه بأن الخالق أراد أن يذكرهم بما مَنَّ عليهم من الخروج من مصر، وتخليصهم من ظلم فرعون، حيث إنهم لَمَا خرجوا إلى سيناء اتخذوا عششًا وأكواخًا تظلهم من حرارة الشمس، ففي هذا اليوم يطلب من اليهود ترك منازلهم والخروج إلى البر، وأن يعملوا أكواخًا من القصب، وما تيسر من الأشجار، تذكيرًا لهم بذلك اليوم، وأن يتعلموا على خشونة الحياة، ففي سفر الأحبار (اللاويين) الإصحاح ٢٣ (٣٩-٤٣) «تقيمون في الأكواخ سبعة أيام: فليقم في الأكواخ كل ابن البلد في إسرائيل، لكي تعلم أجيالكم أني في الأكواخ أسكنت بني إسرائيل، حيث أخرجتهم من أرض مصر أنا الرب إلهكم».

وقد تحولت هذه المناسبة إلى أن تكون يومًا لتخزين الحبوب والثمار في آخر الصيف، ومنها عندهم عيد الأسابيع، وهو بمناسبة تسلم النبي موسى للألواح، وقد أمروا في هذا العيد بعد أن يجمعوا غلالهم من الحقول، وأن يذبحوا بعضًا من الغنم أو البقر قربانًا إلى الله، ولإطعام الكهنة والمحتاجين، فقد ورد في سفر الأحبار (اللاويين) الإصحاح ٢٣ (١٥- وما بعدها) «.... وتدعون في ذلك اليوم عينه إلى محفل يكون لكم مقدسًا، فلا تعملوا فيه عمل خدمة فريضة أبدية في جميع مساكنكم مدى أجيالكم، وإذا حصدتم حصيد أرضكم فلا تذهب في الحصاد إلى أطراف حقلك ولقاط حصيدك، لا تلتقط، بل اترك ذلك للمساكين والنزيل أنا الرب إلهكم».

ويقع هذا اليوم في آخر يوم من شهر أيار مايو، ويهتم اليهود بمناسبات أخرى كيوم اليوبيل الفضي والذهبي والماسي، وكذلك مناسبة الهولوكوست، وهو يوم يزعمون فيه: أن هتلر زعيم ألمانيا أحرق الآلاف من اليهود، لتآمرهم ضده، وكذا يوم مناسبة الاستقلال، وهو يوم قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين المغتصبة سنة ١٩٤٨م.

وعند الشيعة الإمامية مناسبات وأيام في السنة أو في الشهر، تكون نحسة، لا يجوز فيها عقد الزواج، أو إبرام شأن مهم، كما أن مناسباتهم كثيرة، خاصة تلك المتعلقة بزيارة قبور أوليائهم.

الختان في اليهودية

الختان في اليهودية واجب ديني يُفرض على الصبي منذ يومه الثامن إلى ما قبل البلوغ، وقيل: إنها عادة أخذوها عن الفراعنة أو عن نبي الله إبراهيم، وغير المختون لا يجوز تزويجه ولا الأكل معه، وجاء في تعليل الختان: أن في هذا القطع قربة إلى الله تعالى، تشبه القربة من ذبح الماشية، كما عللت بأن في هذا الفعل طهارة من موضع تجمع النجاسة من البول، وقد ورد فعل الختان في سفر التكوين الإصحاح٣٤(١٤-١٥).

وهنا نتساءل: هل أن الختان عند بعض الشيعة يفسر بدم الفداء عن الحسين رضي الله عنه، فعندهم التطبير لجبهة الوجه وجريان الدم فيه معنى التكفير عن رهق دم الحسين رضي الله عنه.

اللحوم والمأكولات

تتطلب اليهودية أن يذكر اسم الله عند ذبح الماشية من منحرها والقاعدة عندهم أن كل ماشية من ذوات الظلف المنقسم والمجترات يكون لحمها حلالًا، فالحصان لأن له ظلف واحد يحرم أكله، وكذلك الجمل؛ لأنه ليس له ظلف، ومثله يحرم الأرنب؛ لأن له أظافر وكذا له أنياب بالرغم من أن الجمل والأرنب من المجترات، ويحل أكل الطير إلا ما كان له أظافر ومنقار كاسر، كما يحرم عندهم أكل السباع المفترسة، ويحرم كذلك أكل الخنزير، فقد ورد في الإصحاح ١١(١-١١) «.... كل مجتر من البهائم إياه تأكلون.....»، وكل ما ليست له زعانف وحراشف مما في البحار والأنهار فهي قبيحة لكم؛ فاليهود يحرمون أكل الأسماك الملساء: كسمك الجري في العراق، ويبدو أن الشيعة متأثرون باليهود في تحريم سمك الجري وأكل الأرنب، كما هو مشهور في كتب الفقه.

الطعام على روح الميت

ورث المجتمع اليهودي البابلي في العراق عادة أكل طعام معين على روح الميت بعد أيام من وفاته، وهذه العادة في الحقيقة كانت موجودة في الديانة البارسية (الفارسية المجوسية)، كما كانت متأصلة في مجتمع الصابئة في العراق، وإنه وإن كان اللوفاني غالبًا من فطائر الخبز ومشتقات الألبان عندهم، فإن هذه العادة وجدت في كثير من الديانات

والشعوب، وقد تعددت أسماؤها وكيفيتها إلى أن أصبحت في النصرانية، مثلًا دعاء يتلى قبل أكل كل وجبة طعام، (اقتداءً بالعشاء الرباني بالمسيح وتلاميذه)، وفيما يبدو فإن هذه العادة استعارها الشيعة خاصة في العراق وفارس، حينما يعدون هريسة الحسين، التي تعد يوم عاشوراء، وما يصاحبها من تلاوات وأدعية، ومباركة من يطبخها، ومن يضع حتى خوصةً تحت القدر الموقد لشعلها.

وقد فصلت الليدي دراور في كتابها عن الصابئة، هذه العادة القديمة في العراق، تحت مسميات مختلفة، ولكنها لم تربط هذه العادة بالهريسة عند الشيعة، ولا بعادة أكل وجبة من الطعام تسمى الأربعينية بعد وفاة الميت بأربعين يومًا، وهي عادة منتشرة بين شيعة العراق.

الربا في اليهودية

تُحرم اليهودية أخذ الربا (سعر الفائدة) في التعامل بين اليهود أنفسهم، ولكنها تجيز أخذ الربا من غير اليهودي، فقد ورد في سفر اللاويين الأحبار الإصحاح ٢٥ (٣٥-٣٦): «إذا أقرضت فضة لأحد من شعبي الفقير عندك، فلا تكن له كالمرابي، ولا تفرضوا عليه ربا»، أما حلية الربا وأخذها من غير اليهودي، فقد وردت في سفر تثنية الاشتراع الإصحاح ٢٣ (٢٠ -٢١): «لا تقرض أخاك بفائدة في فضة أو طعام أو شيء آخر مما يقرض بالفائدة، بل تقرض الغريب بالفائدة، وأما أخوك فلا تقرضه بالفائدة»؛ لأن الربا في الإسلام والمسيحية محرم، فقد تخصص منذ القديم بعض اليهود في مهنة صرف النقود وعملية الإقراض لأخذ الربا، وقد ذهب أحد الآراء إلى أن نشأة البنوك الربوية، إنما هي تطور من أعمال القروض بالربا، وضربوا لذلك مثالًا بأعمال أسرة المرابي اليهودي الألماني الأصل: روتشيلد. كان مع أبنائه وراء إقامة البنوك الربوية[١].

ولشيوع ممارسة اليهود لمهنة الصرافة والقروض الربوية، فقد ذكر لنا التاريخ: أن الوزير علي بن الفرات قام باقتراض مبلغ من صيارفة، وهما: يوسف بن فنجاس وهارون بن عمران اقترض عشرة آلاف دينار في أوائل القرن الرابع الهجري، وعند بعض

(١) أسعد السحمراني، مصدر سابق (ص ٣٠٥-٣٢٦ -٣٢٧-٣٤٠).

الشيعة الإمامية يحل لهم أكل أموال المخالفين (السنة) بأي وسيلة، كما هو منقول في بعض كتب الفقه المعززة بأحاديث منسوبة للأئمة كما سنشير إلى ذلك.

المرأة في اليهودية

المرأة في اليهودية في مرتبة أدنى من الرجل؛ ففي دعاء الصلاة عندهم: «الحمد لله الذي لم يخلقني امرأة»، والمرأة تقول: «مبارك أنت يا رب الذي خلقتني بحسب مشيئتك». وتنسب التوراة الخطيئة التي أخرجت آدم وحواء من الجنة إلى حواء، حيث أراد الشيطان غوايتها، فأراد الدخول عليهم في الجنة، فمُنع من ذلك فتجسد بصورة حية، أو أنه دخل في الحية، ثم دخل إلى الجنة واتجه إلى حواء، فوسوس لها أن تأكل من الشجرة المحرمة، فأخذت ثمرة منها فأكلت وأعطت آدم، فغضب الخالق عليهما، وأنزلهما إلى الأرض؛ ولذا فاليهودية تنسب لحواء بأنها قد تسببت في جميع شرور والألم على البشرية في الأرض، فقد ورد في سفر التكوين الأصحاح٣(٦ وما بعدها): «ورأت المرأة أن الشجرة طيبة للأكل ومتعة للعيون، وأن الشجرة منية للتعقل، فأخذت من ثمرتها وأكلت، وأعطت أيضًا زوجها الذي معها فأكل... هل أكلت من الشجرة التي أمرتك ألا تأكل منها؟ فقال الإنسان: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت».

الزواج وسن البلوغ عند اليهود

يتحدد سن الزواج عند اليهود بسن البلوغ للأنثى سن الحيض وللصبي بلوغ الاحتلام، وفي بعض النصوص بلوغ البنت اثنتي عشرة سنة، والصبي ثلاث عشرة سنة، هذا في النصوص الدينية، ولكن في قوانين الأسرة يتحدد في الغالب بسن الثمانية عشرة، والزواج فرض على كل يهودي، ويجب أن يكون الطرفان يهوديين، ومن نصوص التوراة يفهم بأن الزواج يتم عن طريق شراء المرأة بمبلغ معين، تطور إلى ما سُمي بالدوطة، فقد ورد في سفر راعوت الإصحاح (١٠-٤): «وأما راعوت الموابية امرأة محلون، فأنتم شهودي على أني اشتريتها أيضًا امرأة لي».

والحقيقة أن القانون الروماني الذي عاش في ظله اليهود يعد أن الزواج بشراء المرأة قسمًا من الأقسام المشروعة للزواج، إضافة إلى الزواج الاختياري الذي يتم عن

طريق الخطبة، وقد تطورت قوانين الأسرة عند اليهود في العصر الحديث، فعند يهود لبنان ينص قانونهم على أن أركان الزواج ثلاثة، وهي: الأول: تسمية المرأة على الرجل، وتقديسها عليه بقبولها بخاتم يعطيه إليها، يدًا بيد بحضرة شاهدين شرعيين، قائلًا لها بالعبرية: تقدست لي زوجة بهذا الخاتم أو بكذا، وإن كان شيئًا آخر. والثاني: العقد شرعي مكتوب. والثالث: الصلاة الدينية صلاة البركة بحضرة عشرة رجال على الأقل.

وتعدد الزوجات أمر مباح في اليهودية، ولم يرد له حدٌّ عددي في النصوص، لا من التوراة، ولا من التلمود، ولكن في القرون الوسطى في حدود القرن الخامس عشر، أفتى بعض كهنة اليهود بتحريم تعدد الزوجات، ويبدو أنهم تأثروا بالمجتمع المسيحي الأوروبي، الذي يشنع على تعدد الزوجات، أما يهود الشرق فقد ظلوا يمارسون تعدد الزوجات، والطلاق أمر مباح في اليهودية بيد الرجل، ولا يحتاج إلى مبررات، كما أن المرأة اليهودية في الأنظمة الحديثة يحق لها طلب الانفصال عن زوجها إذا أثبتت الضرر من سوء معاملة، وإذا توفي الزوج فإن أحد إخوته يتزوج زوجته، فإذا ولدت ابنًا سُمي باسم الزوج الميت، وذلك إحياءً لذكراه، وإذا الأخ الشقيق رفض الزواج، فإنه يتعرض للعقوبة.

وينسب الولد لأبيه اليهودي، أما إذا كان الأب غير يهودي، فإنه ينسب لأمه، فالقاعدة عندهم أن اليهودي هو من خرج من رحم يهودية.

ويجب على المطلقة أن تعتد اثنين وتسعين يومًا، والحامل عدتها أن تضع حملها، وترضع طفلها سنتين قبل أن تتزوج مرةً ثانية. وحضانة البنت من حق المطلقة إلى أن تتزوج هذه البنت، أما الولد فحضانته من حق المطلقة، حتى يبلغ ست سنين فتنقل الحضانة إلى الرجل[١].

ومن المحتمل أن زواج المتعة عند الشيعة الاثني عشرية من مؤثرات الديانة اليهودية، خاصةً ممارسات اليهود للزواج المؤقت في العراق وإيران قديمًا، فقد ورد في التلمود البابلي نصان يدلان على ممارسة الكاهن اليهودي الزواج لليلة واحدة، خاصة عندما ينوي السفر

(١) الشهرستاني: الملل والنحل (٢/٤٦-٤٧).

أو يكون في سفر: «إن الراب نحمان حينما يأتي إلى شكنزب كان يعلن: من ترغب أن تكون لي ليوم واحد...»، والنص الثاني متعلق براب آخر، الذي اعتاد أن يزور مدينة دار شير كان يقول بين النساء «... من تود أن تكون لي ليوم واحد»، وبالرغم من اعتراض بقية الكهنة فيما بعد على هذه الممارسة، فالذي يبدو أنها كانت شائعة في تلك المدن الفارسية التي كان يقطنها اليهود.

وهذا الميراث من الحضارات القديمة استمرت جذوره وتطبيقاته في عصور مختلفة، إلى أن ورثها الشيعة الاثنا عشرية، ووضعوا لهذه الممارسة قواعد شرعية، ساعدهم على ذلك ممارسات العرب في الجاهلية، لما يقرب من هذا النوع من الزواج كالاتصال بصاحبات الرايات بمكة (البغاء)، ونكاح تعدد الأزواج، كما يشير إلى ذلك حديث السيدة عائشة رضي الله عنها في الصحيحين.

والمتعة عند الشيعة الإمامية لا ميراث فيها، ويثبت فيها نسب الولد، وعدتها نصف عدة المرأة في الزواج الدائم، ولا تحديد للعدد فيها... انظر: كتابنا (الزواج المؤقت)، وانظر أيضًا: (التلمود البابلي).

دفن الموتى وقبورهم

لليهود أساليب ومعتقدات في كيفية دفن موتاهم، ووضعهم في القبور، وقد يطول شرحها، ولكن ما هو جدير بالإشارة إلى أن هناك تشابهًا بين اليهودية والشيعة فيما يتعلق بعادة زيارة القبور في يوم العيد، وتلاوة الأدعية والبكاء حولها، وهذه العادة منتشرة أيضًا بين بعض السنة في العراق. والصفة الثانية: أن اليهود يحرصون على دفن الميت في أرض إسرائيل، فإن لم يتمكنوا من ذلك يقومون بذر بعض تراب إسرائيل على رأس الميت قبل دفنه، وعند الشيعة من الأفضل أن يتم الدفن في النجف قريبًا من قبر الإمام علي وقبر الحسين في كربلاء، وتدور حول المدافن وترابها جملة من الموروثات والأحاديث المنسوبة إلى الأئمة منها شفاعة الإمام وإدخال الميت إلى الجنة[1].

(١) الليدي دراور: الصابئة المندائيون، ترجمة: نعيم بدوي، وغضبان رومي، (ص ٣١٥)، ط٣، بغداد، ١٩٨٧م، بغداد.

الأعياد والمواسم اليهودية

كثيرةٌ هي الأعياد والمواسم الدينية عند اليهود، ولكن نشير إلى أقربها تأثيرًا في المجتمع العربي والإسلامي، ومجتمع الشيعة خاصةً، منها عيد رأس السنة (روش هاشاناه)، ويقع في اليوم الأول والثاني من شهر تشرين الأول، ويعتقد أنه بمناسبة خلق الله للعالم وسيكون يوم الحساب أيضًا، ومنها عيد الغفران، ويقع في اليوم التاسع من شهر تشرين اليهودي، ويصوم فيه اليهود، ولا يخرجون من بيوتهم، وهو بمناسبة الخروج من مصر.

ومنها عيد المظلة الذي يعمد فيه اليهود إلى أرض الخلاء، فيبيتون تحت مظلات من القش والأشجار، تذكيرًا لهم بمناسبة إقامتهم وانتشارهم في صحراء سيناء، واتخاذهم المظلات حيث تذكرهم بشظف العيش، وما حصل لهم من متاعب، ويقع في اليوم الخامس عشر من شهر تشرين اليهودي (أكتوبر).

ومنها عيد الأنوار (الحانوكاه)، ويقع في اليوم الخامس والعشرين من شهر كسلو اليهودي (كانون الأول)، وهو بمناسبة دخول يهوذا إلى أورشليم، وإعادة الشعائر اليهودية في الهيكل، كما يدعون بأنه سمي بعيد الأنوار؛ لأن معجزةً حدثت في إضاءة المعبد ليهوذا، بزيت كان لا يكفي إلا ليوم واحد، بينما استمر الزيت مشتعلاً ثمانية أيام إضافية، وقد رمزوا لهذه الأنوار بشمعدان له تسعة رؤوس، تضيء الشموع على عدد تلك الأيام، وتبنت الصهيونية هذا العيد في إسرائيل، وأضافت إليه العديد من الاحتفالات، ومنها عيد البوريم أو المساخر، ويقع في الرابع عشر من آذار مارس، وهو بمناسبة الاحتفال باليوم الذي أنقذت فيها الفتاة اليهودية إستير من مؤامرة، لذبح يهود فارس، من قبل وزير الشاه كورش، حيث قيل: إنها أغوته حين تمشط شعرها أمامه.

ولكثرة ما يشرب فيه من خمر، سماه العرب بفارس والعراق بيوم المساخر، لما يسخر به من أحوال المخمورين.

ومنها عيد الفصح (بيساح)، ويرمز إلى خبز الفطير الذي حمله اليهود، مسرعين حين الخروج من مصر، ولم يتمكنوا من تخميره، وفي هذا العيد يذبحون فيه حملًا أو شاةً

أو جديًا، ويضعونه أمام بيوتهم ليأخذه الفقراء. وكلمة الفصح بالعبرية تعني العبور، رمزًا لعبور اليهود البحر مع نبي الله موسى، ونجاتهم من جيش فرعون، ومن يأكل خبزًا مخمرًا في هذا اليوم يعد عاصيًا ومخالفًا لدينه، وقد اتهم اليهود وخاصةً في الشام بعجن خبز الفطير بدم شخص مسيحي، وجرى بسبب ذلك دعاوى قضائية، تم فيها تدوين من قتل وأخذ دمه لهذا الغرض.

ومنها عيد الحصاد الذي يقع في آخر مايو بمناسبة نضوج أول الثمار، التي كانت تُهدى إلى المعبد، بالإضافة إلى مناسبة نزول التوراة، وتسلم نبي الله موسى الألواح في جبل سيناء، وعبَر عنه بعض أحبارهم بأنه مناسبة زواج الله للشعب اليهودي.

ومناسبة تسمى تيشاع بآب، وهو يوم حزين بسبب سقوط أورشليم وهدمها، وفي هذه المناسبة يكرر اليهود أحزانهم بسقوط بيتار سنة ١٣٥ ميلادية، وخروج اليهود من إسبانيا سنة ١٤٩٢ميلادية.

ومناسبات الشيعة الإمامية الدينية لا تنقطع خلال السنة، التي غالبًا ما تتمحور حول قبور أوليائهم.

إقامة الدولة عند اليهود

انقسم اليهود إلى قسمين: قسم ينادي بإقامة إسرائيل من أجل جمع اليهود من الشتات في ظل دولة تحميهم، مما مروا به من ويلات في أصقاع العالم، وهؤلاء هم اليهود الصهاينة المعبرون عن أكثرية اليهود، منهم المتدينون المعتدلون، ومنهم اليهود غير المتدينين، ولكنهم جميعًا يلتقون بوجوب إقامة دولة إسرائيل، وتعضيدها والإسهام في بنائها.

والقسم الثاني سموا أغودات إسرائيل، فكانت تحت اسم حزب الحريدي، وهم من المتدينين الغلاة، الذين يعتقدون أن إقامة الدولة لا تتم إلا بعد ظهور أو قدوم المسيح المنتظر، واعتبروا إقامة دولة إسرائيل مأزقًا ضد اليهود، وقد اقترحوا سابقًا إطالة مدة الانتداب البريطاني لفلسطين، أو تكوين كانتونات يهودية بين عرب فلسطين، بعض هؤلاء

لم يهاجروا إلى إسرائيل، ولكن الكثير منهم قد هاجر، ولكنهم لم يتحمسوا إلى تحمل المسؤولية السياسية.

ومن الجدير بالذكر: أن كثيرًا من الشيعة الإمامية يرون أنهم يجب أن يكونوا في انتظار خروج المهدي، وإقامة الدولة حينها كما يقيم صلاة الجمعة، ولعل هذا التفكير قد استعاروه من فرقة اليهود المذكورة أعلاه.

إقامة الدولة عند الشيعة

نشأ التشيع في ظل الدولة الإسلامية، كما نشأ أفراد الشيعة ضمن المجتمع العربي والإسلامي، وبعد إخفاق الثورات الشيعية والعلوية في الدولة الأموية والعباسية بدأ بعض مفكري الشيعة بالتفكير في إقامة دولة لهم، تحميهم وتمكنهم من إقامة عقائدهم بحرية، فبدأ بعض النجاح يحصل في تحقيق هذا الهدف لبعض من الشيعة في القرن الثالث الهجري، حيث أقيمت دويلة صغيرة في بلاد الديلم شمال غرب إيران على يد الأطروش، وقد تبنت المذهب الزيدي الذي انسلخ منه بنو بويه، فأقاموا دولة شيعية اثني عشرية في إيران والعراق، حيث انقلبوا من مذهبهم الزيدي إلى المذهب الاثني عشري، بسبب أن الزيدية وخاصةً في بغداد حين دخول معز الدولة البويهي بجيشه إليها، قالوا له: إن الحكم للداعي الزيدي، وليس لبني بويه. فتحول البويهيون إلى المذهب الاثني عشري؛ لأن إمامه غائب يسمح لبني بويه بالحكم، كما أن الشيعة الإسماعيلية نجحوا في إقامة دولتهم في مصر والمغرب العربي، وحكمت إلى ما يقرب من مئتي سنة، وأغلب الشيعة الاثني عشرية يؤيدون إقامة الدولة المذهبية، كما حصل الآن في إيران، ولكن بعض العلماء من الاثني عشرية قد خالفوا في إقامة الدولة المذهبية، وأن ذلك موكول فقط للإمام الثاني عشر عند ظهوره، حيث يقيم دولته على الأسس التي شروحها، وغالبيتهم من المتدينين المتشددين، الذين يأخذون بظواهر النصوص الواردة في المذهب، فقبل ظهور الإمام عندهم لا تصح الجمعة ولا الجماعة ولا إقامة الحدود، ولا أي عمل من الأعمال التي تقتضيها السيادة.

فيا ترى هل أن هذه المقارنة بين الفئتين من اليهود وهذه الفئة من الشيعة توصل المتأمل -وخاصة من الشيعة- إلى النظر في مصير إسرائيل مستقبلًا، وماذا ستكون عليه

حال اليهود في إسرائيل بعد نهضة العرب والمسلمين عامةً، وتغلبهم على المصاعب التي وضعها أعداؤهم.

وهل أن ما يجري اليوم من خلاف وعداء ودماء بين الشيعة ومخالفيهم يدفع المتأمل إلى ما سيكون من رد فعل في المستقبل ضد الشيعة الذين ينادون بإقامة دولة مذهبية شيعية.

تحليل النفسية اليهودية منذ نشأتها إلى الشتات

لمعرفة النفسية اليهودية لابد من الرجوع إلى الجذور التاريخية في نشأة اليهود، فيرى بعض المؤرخين أن قبيلة تارح الأكادية من جنوب العراق نزحت سنة (٢٢٠٠ق.م) بقيادة رئيسها آزر، الذي كان يمتهن صناعة الأصنام من الخزف، حيث اعترض عليه ابنه إبراهيم، فخالف أباه في عبادة الأصنام، وكذا عبادة الشمس التي كان يعبدها الآشوريون والبابليون قديمًا، فقام إبراهيم ومن آمن معه عابرًا نهر الفرات (وهم يتحدثون بالآرامية) متجهًا بهم إلى أرض الشام وفلسطين، وهذه المرحلة هي مرحلة تكون الشعب العبري واللغة العبرية التي تميزت عن بقية اللغات السامية (وهي مزيج من الآرامية والكنعانية)، ومر العبرانيون بمرحلة البداوة والتنقل والاعتماد على الحياة الرعوية؛ فالكبش يمثل أساس الحياة للمجموعات العبرية، وفي هذه الحقبة التاريخية دخل العبرانيون بصراعات مع الكنعانيين والعمالقة -الذين نزحوا من الجزيرة العربية في حدود الألف الرابع قبل الميلاد- أصحاب الأرض في فلسطين، وتمخض هذا الصراع عن ظهور الإسرائيليين منهم، وهم من نسل يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، ورحيلهم إلى مصر واستيطانهم فيها، والعمل بها كفلاحين استخدمهم فرعون مصر لأغراضه السياسية، التي كانوا يعدونها من الظلم، حتى تمخض عن ذلك خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى (في حدود سنة ١٣٥٠ ق.م)، وعبورهم البحر إلى صحراء سيناء ودخولهم مرحلة التيه وعبادة العجل بدل عبادة الكبش (الأيل) الذي كان يعبده أجدادهم العبرانيون بصفته إلهًا مقدسًا، واعتمد الباحثون للدلالة على ذلك بتسميات عدة مواضع في فلسطين، منها بيت الإله المعبود، مثل بيت إيل المسماة إلى اليوم في فلسطين المحتلة، وكذا تسمية القدس بإيلاء، كما وردت في العهدة العمرية، وبعد مرحلة التيه دخل اليهود

الإسرائيليون في حرب مع الكنعانيين أصحاب الأرض الأصلية، وأسسوا بعد ذلك مملكتين يهوديتين: إحداهما في القدس (يهوذا)، والأخرى في السامرة (الخليل) (في حدود الألف الأول قبل الميلاد) وفي حدود سنة ٧٠٠ ق.م كتب كهنتهم التوراة، ثم جاء على مملكة يهوذا جيش نبوخذ نصر الذي هدم القدس والهيكل سنة ٥٨٦ قبل الميلاد، وسبى اليهود وقادهم إلى بابل في العراق خدمًا وفلاحين، وفي هذه الحقبة كتب اليهود التلمود البابلي ما يقارب من سنة ٣٢٠ قبل الميلاد، وحتى بعد إرجاعهم إلى القدس من قبل ملك الفرس كورش، ومساعدتهم في بناء الهيكل مرة أخرى، إلا أن جيوش الرومان اجتاحتهم سنة ٧٠ ميلادية، وتشتت اليهود في الأرض وهدموا الهيكل.

إن هذا الموجز التاريخي لحياة هذا الشعب يلقي الضوء على نفسية الفرد اليهودي المتمسك بتعاليم التوراة والتلمود، التي يمكن أن نلخصها بالمشاعر النفسية الآتية:

أولًا: الشعور باليتم

بالرغم من أن الديانة اليهودية ديانة توحيد للخالق، واعتراف بنبوة موسى، وإصرارهم بأنهم شعب الله المختار من دون بقية شعوب الأرض، لكن أحداث التاريخ التي مرت عليهم في صحراء سيناء وعبادتهم للعجل أفقدتهم الصلة بالخالق الواحد، وعزز ذلك غياب موسى بعد وفاته (في حدود ١٣٠٠ق.م) فأصبحت شخصية الإسرائيلي اليهودي تشعر بنوع من اليتم والانقطاع عن المدد السماوي، وأن الله قد غضب عليهم فأوقعهم في تيه وضياع ثم شتات (دياسبورا)، وسلط عليهم الأمم من حولهم، فبعد سلطة فرعون دخلوا في صراع مع أهل أصحاب الأرض من العماليق والكنعانيين و المديانيين، ثم تسلط الآشوريون عليهم، ثم تسلط الرومان عليهم، فهذا العزف الضاغط على الشخصية اليهودية أنتجت في داخلها نوعًا من اليتم، وأن الله قد تخلى عن شعبه، فلم يعد لهم وطن يضمهم، بل استمروا تائهين في أصقاع الأرض.

ثانيًا: الشعور بعدم الانتماء

إن الأحداث التاريخية التي مرت على الشخصية اليهودية، جعلت منها شخصية ضعيفة مهزوزة، تعتمد في الغالب على قوى الآخرين، وليس لديها مانع من القيام بخدمات

العمالة والتجسس، وهذا واضح من سلوكهم في خدمة الدولة الفارسية ضد الآشوريين، حيث مكنوا الفرس من غزو العراق ودخول الملك كورش الفارسي إلى العراق والشام، كما استخدمهم الفرس عيونًا وجواسيس ضد الدولة الرومانية، وتتجدد هذه الشخصية في سلوكها التاريخي إلى يومنا هذا، ولا أدل على ذلك من غضب الألمان على اليهود الذين طعنوا ألمانيا من الخلف، فكانوا طابورًا خامسًا في الحرب كما هو معلوم.

ثالثًا: المكر والخداع

إن تعرض الشخصية اليهودية إلى الضغط النفسي دفعه إلى سلوك المكر والخديعة، إلى درجة أن تأتي بعض نصوص التوراة بحيلة المكر على المخالفين، وأخذ الربا منهم، وكذا التبرير لنقض العهود والمواثيق مع غيرهم من الشعوب.

رابعًا: الشعور بالعدوانية والتصلب

حينما يكون اليهودي تحت سلطة غيره يكون طيعًا مستجيبًا بخبث للضغط الذي حوله، ولكن بمجرد أن تكون له القوة والسيطرة يكون ذا شخصية عدوانية ضد الآخرين من الشعوب، مستجلبًا ومبررًا جميع المظالم، التي مرت على أجداده القدماء، فلا مجال للرحمة والغفران، وهذا السلوك بات واضحًا لا يحتاج إلى دليل، حيث يتكرر ذلك مع الفلسطينيين العرب كل يوم.

خامسًا: عدم الانتماء الوطني

لم يستقر لليهود وطن في أرض تاريخية محددة، بل تنقلها في الأرض بين أمم وشعوب مختلفة مما جعل شخصيتهم لا تنتمي إلى أرض يدافعون عنها، فالأرض هي الأم الحنون التي ترضع الفرد من خيراتها، ومن دونها لا يمكن له العيش أو يتولد لديه شعور بالانتماء، وهذا ما جعل شخصية اليهودي غير مستقرة في وطن معين، بل هو في ترحال مستمر حسب أوضاعه السياسية والمعاشية.

سادسًا: الشعور بعدم وضوح الإله المعبود

عبد الإسرائيليون في أثناء وجودهم في مصر الفرعونية الثور، فحالما خرجوا من مصر وغاب عنهم موسى رجعوا إلى عبادة الثور، وتجددت عبادة العجل في حياة الإسرائيليين،

حتى بعد دعوة أنبيائهم للتوحيد، من ذلك ما ذكر من عودة يربعام بن سليمان إلى عبادة العجل هو وأصحابه في السامرة[١].

وقد عبد إهاب الملك إسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾البقرة: ٩٣، ويروي العهد القديم كذلك أن موسى عليه السلام عمل حية من نحاس، وأن بني إسرائيل عبدوها بعد ذلك، وكانت الأفعى تعد حيوانًا مقدسًا؛ لأنها تمثل عندهم الحكمة والدهاء والانسياب وتغيير الثوب.

وتشير التوراة إلى أن إله اليهود يهوه يتسم بصفات التجسيم والتشبيه، فهو يسير أمامهم كعمود سحاب، وأن تحت رجليه عقيق شفاف، وإلههم يهوه أمرهم بسرقة ذهب جيرانهم المصريين قبل الخروج.

ويأمرهم يهوه بأن لا يقطعوا على أنفسهم عهدًا لمخالفيهم، وألا تأخذهم الشفقة في الحرب، وأن الرب يهوه ندم على ما فعله من شر في شعبه[٢]، واعتقاد اليهودية بالآخرة والبعث اعتقاد سطحي، ليس له ذكر في معتقداتهم.

وعمومًا فإن الشخصية اليهودية في معتقدها عن إله الكون مضطربة، نتيجة الاعتقاد بصفات إلههم يهوه الواردة في التوراة، التي تسمح لهم بالاقتداء بصفات يهوه الواردة.

والعلماء الذين درسوا الشعب العبراني يميلون إلى أن أجدادهم قد عبدوا الكبش (الأيل كما أشرنا سابقًا).

سابعًا: النكوص إلى التوراة والتلمود

إن المشاعر النفسية اليهودية التي وصفت بالسلبية، كما أوردناها سابقًا ألجأتهم أن يعوضوا تلك المشاعر السلبية بنكوصهم إلى نصوص التوراة والتلمود، وما فيها من

(١) الأستاذ الدكتور. سعدي الهاشمي: الرواة الذين تأثروا بابن سبأ، ط١، ١٩٩٢م.

(٢) د. عبداللطيف عبدالرحمن الحسن: إثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة، (ص١٨).

خرافات ومعجزات، كتبها رجال دينهم مختلطة بأقوال نبيهم موسى، حيث حوت تلك النصوص القليل من الأوامر والنواهي الدينية، التي ورثوها عن أنبيائهم، ولكنهم حين التدوين أضافوا إليها ما لديهم من أفكار وأعراف ومعتقدات، حملوها قديمًا من الفراعنة والآشوريين والفرس، وما في بلاد كنعان من عادات وأعراف وقصص خرافية ومعجزات لا يصدقها العقل.

ثامنًا: دعوة أرض الميعاد

فبسبب كثرة الشتات وضياع بني إسرائيل، وُلِّد لديهم شعور بأن ربهم قد وعدهم بأرض يستقرون بها بعد الشتات، وابتدع رجال دينهم بأن الله قد وعد شعبه المختار بوطنٍ يلجؤون إليه.

تاسعًا: الادعاء بأنهم شعب الله المختار

فقد صدَقوا النصوص والأوهام التي بثها رجال دينهم، بأن الله قد اختارهم من دون الشعوب الأخرى، وهذا الادعاء دفعهم إلى الشعور بالتعالي والاستكبار على الشعوب الأخرى واحتقارها، والتعامل معها بشدةٍ وعنف لا مجال فيه للرحمة والغفران، ونصوص التوراة والتلمود مليئة بهذه المعاني الخاطئة.

عاشرًا: المبررات النفسية

تحفل نصوص التوراة والتلمود بالكثير من المبررات والتفسيرات، التي تحاول إقناع اليهودي بسلوك معين فمثلًا سلوك العدوانية في النفسية اليهودية طبعها بتكرار قتل أنبيائهم، فقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، التي أيدها التاريخ بتسببهم بمجادلة قتل وموت (رفع عيسى ابن مريم عليه السلام) وقتلهم زكريا ويحيى، وسعيهم إلى بيلاطس الحاكم الروماني في فلسطين إلى الاعتداء على المسيح، كما هو معلوم، ولكنهم يدافعون عن أنفسهم بمبررات غير صحيحة، وأنهم بالعكس ضحايا العدوان للشعوب التي حولهم.

الحادي عشر: ظهور الحركة الصهيونية

إن المبررات النفسية التي أوضحناها سابقًا دفعت اليهود وبعض زعمائهم إلى تكوين الحركة الصهيونية، من أجل إقامة وطن لليهود، كما تزعم المبررات السابقة، حيث نشأ عن ذلك اعتداء الصهيونية على أرض فلسطين، مبررين عدوانهم بأنها الأرض التي

وعدهم إياها إلههم، وأنهم هم المظلومون، وفي عملهم هذا دفاع عن أنفسهم وحماية لها كما يدعون، وهم بهذا يعدون العربي الفلسطيني هو المعتدي، الذي لا بد من رد عدوانه بجميع الأساليب الممكنة، والتحالف مع كل شيطان ضده، واستخدام جميع أدوات القتل المحرمة ضده؛ لأنه هو المعتدي.

تشابه تحليل النفسية اليهودية والشيعية

في دراستنا لتاريخ التشيع وما خلفه من ميراث فكري وعقائدي نجد تشابهًا في تحليل النفسية اليهودية والشيعية، نختصرها بالنقاط الآتية:

١. الشعور باليتم

إن الذي يقرأ في نصوص الأحاديث الواردة في بحار الأنوار[١] يستشف من بعض أقوال الرواة لإمامهم، بأن ظهرهم انقطع لكثرة ما يسمونهم بالرافضة، وقد عقد المجلسي فصلًا في صفات المؤمن، وجميعها تشف باليتم والانعزال والمرض، انظر: كتابنا (جذور التشيع).

٢. الشعور بضعف الانتماء

إن معاداة الشيعة للخلافة الإسلامية عمومًا عكست في نفسيتهم عدم الانتماء لمجموع الأمة، ساعد في ذلك اختلاف أجناس الشيعة من شعوبٍ من العجم وقليلٍ من العرب نسبيًّا، مما وَلّد انشطارًا داخل نفسية الشيعي العربي أو الفارسي أو التركماني أو الطاجيكي..... إلخ، فعدم التجانس هذا أضعف رغبتهم في الانتماء لأمة العرب والمسلمين، فقد يتغلب الانتماء الفارسي أو غيره حسب الظروف السياسية، وأحيل القارئ إلى ما كتبه نبيل الحيدري في كتابه (التشيع العربي والتشيع الفارسي).

٣. صفة المكر والخداع

وهي صفة يلجأ إليها الفرد الشيعي في أوقات الضعف حماية لنفسه وماله، ونصوص الأحاديث مليئة في إعطاء مبررات المكر والخديعة للمخالفين كاستخدام التقية، بل إن

(١) بحار الأنوار أحد كتب الحديث المشهورة لدى الشيعة الاثني عشرية، جمعه محمد باقر المجلسي (١٠٣٧ - ١١١١هـ) في زمن الدولة الصفوية، ويعد أكبر كتب الحديث، حيث يتكون من ١١٠ مجلدات.

obeikan.com

استخدام الكذب ومبرراته أمر شائع في كتب الشيعة، حيث يعمدون إلى مغالطة القارئ والتدليس عليه كذبًا وادعائهم بوجود نصوص تبرر عقيدتهم في الإمامة مثلًا والوصية، بل يدلسون كذلك في أسماء كتاب التاريخ كالطبري... .

٤. الشعور بالعدوانية والتسلط

حالما ينتصر الشيعة في زمنٍ معين تجدهم يتسلطون بقسوة ضد مخالفيهم بسبب شعور كبير بالألم والانتقام، واستجلاب الدواعي التاريخية بالرغم من بعدها، كرمي خصومهم بأنهم أولاد يزيد بن معاوية أو أنهم قتلة الحسين، أو سلوك طريق الاغتيالات، كما سبق ذكر ذلك في الشام على يد العلويين والحشاشين.

٥. عدم المواطنة

لكثرة فشل الثورات الشيعية منذ العهد الأموي والعباسي، فإن الفرد الشيعي يضعف عنده الشعور بالانتماء للوطن؛ لأن الوطن في رأيه يخذله بقمع تلك الثورات المتكررة، والضغط السياسي على أئمتهم وزعمائهم، وهذا واضحٌ لا يحتاج إلى دليل، مما يمكن أعداء الإسلام من الدخول لهذه الثغرة واستخدمها قديمًا وحديثًا، ونحيل القارئ إلى ما كتبناه عن تحالف الشيعة مع أعداء الأمة من الصليبيين والتتار والمجوس والنصارى.... إلخ.

٦. ضعف فكرة توحيد الخالق

سبق أن بحثنا عن تصورات الشيعة عن الخالق وصفاته، وتأثرهم بأفكار مجوسية ويهودية ونصرانية، شرحناها سابقًا أضعفت نفسية الفرد الشيعي باتصاله بالله الواحد الذي لا شريك له، وقد ساعدت نصوص الأحاديث عندهم على تشتيت أذهانهم، حيث تعطي هذه النصوص صفات الألوهية للأئمة، فتدخلهم في الشرك وضعف التوحيد.

٧. نكوصهم إلى المراجع الدينية

تسبب ضعف نفسية الفرد الشيعي إلى نكوصه واعتماده ورجوعه إلى مرجع ينتمي إليه، ويطيعه طاعةً عمياء دون الرجوع إلى تحكيم العقل، وعادة ما يكون ذلك عند سيادة الجهل بينهم، وما نكوص فرقة الأخبارية من الشيعة الاثني عشرية إلى تصديق جميع

الأخبار والنصوص الواردة في الأحاديث إلا مظهرًا من مظاهر الهروب من حكم العقل إلى جهالة النص وتصديق المعجزات على التفصيل الذي شرحناه.

٨. الشيعة والشتات

من الثابت تاريخيًّا أن بعد كل ثورة من ثورات الشيعة الفاشلة في العهد الأموي والعباسي أن يهرب الثوار بعيدًا عن مركز الخلافة، فيسكنون بعيدًا في أطراف الدولة الإسلامية، وفي جبالها طلبًا للحماية، فمنذ القديم هرب جماعة الزيدية (ثورة الإمام زيد بن علي في الكوفة، فتوزعوا في جبال الديلم، وكونوا في القرن الثاني دويلة صغيرة في شمال غرب إيران بقيادة الأطروش، وكذا انتشروا في بلاد اليمن وجبالها من أمثال الزيدية الجارودية المسماة اليوم بالحوثيين، وكذا في ثوراتهم في العصر العباسي كثورة عبدالله بن الحر الذي اتجه أصحابه إلى بلاد المغرب العربي، وكذا الحال في مجموعات الشيعة في جبل عامل وغيرها من جبال العلويين في الشام وتركيا، وهذا الشتات يشبه إلى حد كبير شتات اليهود في أصقاع الأرض، مما تسبب في نشوء فرق كثيرة للشيعة، وانقطاعها عن الفكر الإسلامي لمجموع الأمة، فسهل دخول العناصر والأفكار الأجنبية على تلك الفرق.

٩. رغبة الشيعة في إقامة دولة

وهذه الرغبة قد عكستها كثير من النصوص الواردة في أحاديثهم، متجسدة بظهور المهدي المنتظر، ورغبتهم حينها من رجعة الأموات من مخالفيهم بقصد الانتقام منهم، وقد نجح الشيعة بإقامة دول لم تستمر طويلاً بسبب أن أسباب إقامتها لا تدوم لمناقضة أفكارهم وسلوكهم لطبيعة البشر؛ فالدولة الفاطمية بمصر وبالرغم من أنها عجزت عن تأصيل المذهب في نفس المصري، فقد سقطت بعد قرنين من الزمن، وكذا الحال في دولة البويهيين، التي لم تستمر أكثر من قرن، وكذا الحال في الدولة الصفوية.

١٠. ادعاء الشيعة بأن الله قد اختارهم

وقد سبق أن شرحنا ذلك الاعتقاد، وادعاءهم بأن الله قد خلقهم وأئمتهم من نور ومن طينة مختلفة عن بقية الناس.

الفصل السادس

الديانة النصرانية

في كتابنا (جذور التشيع) ألقينا الضوء على أثر الديانة النصرانية على العرب، فأوضحنا موجزًا عن ديانة العرب في الجزيرة العربية، وانتشار النصرانية في البحرين، وقبائل عبد قيس وبكر بن وائل في حضرموت وفي قبيلة همدان، وانتشار المسيحية في بعض الإمارات العربية القديمة: كالرها والحضر والغساسنة والمناذرة وميسان، والنصرانية في الحيرة، وجملة من بعض القبائل العربية التي تأثرت بالنصرانية: كقبيلة تغلب، وبعض من عبس، وبعض من بني عجل، وبعض من تميم، وبعض من كعب بن عامر بن صعصعة، وبعض من بني جفنة، وبعض من بطون قضاعة، وبعض من كندة، وبعض من لخم وعاملة، وبعض من قوم جعف، وبعض من قوم النخع.

كما أوضحنا الأديرة في العراق والحيرة، وذكرنا موجزًا عن أثر النصرانية في التشيع، بوصفها فكرة تحمل ذنوب الأمة، واستعارة فكرة المعجزات عن المسيح ومريم.

كما ذكرنا بعضًا من رجال العرب النصارى الذين تشيعوا، كما تعرضنا إلى بعض الرواة من الشيعة، الذين كان لهم اتصال بأهل الكتاب، كما أشرنا في ثنايا الكتاب إلى معتقدات كثيرة للشيعة ذات علاقة بالنصرانية[١].

طبيعة السيد المسيح في النصرانية

تعتقد المسيحية أن الله قد مسح عيسى ابن مريم بزيت الزيتون المقدس، ويبدو أن مسح الأطفال أو المواليد بالزيت عادة قديمة في المنطقة، إضافة إلى ذلك تعتقد المسيحية أن نبي الله عيسى مُسِحَ بالماء المقدس عن طريق تعميده بنهر الأردن، وتعده ثاني الأقانيم الثلاثة: (الأب، الابن، الروح القدس).

(١) د. عبداللطيف عبدالرحمن الحسن: جذور التشيع وأسبابها، العبيكان، ط١، الرياض، ٢٠١٢ م.

واختلفت المسيحية في طبيعة المسيح، فذهب بعضهم إلى تأليهه، وذهب آخرون إلى أنه ابن الله أو كلمته، ورأي ثالث يقول: إن المسيح ذو طبيعة آدمية، ولكن الله حل به (اللاهوت يحل في الناسوت)، كما ذهب إلى أن المسيح ذو طبيعة بشرية خالصة، يأكل وينام، ويفرح ويغضب، ويحب ويكره، ويسير على قدميه بين الناس.

إن أول فكرة ولدت في لاهوتية المسيح جاءت في إنجيل يوحنا، وهذا بلا شك المفهوم الذي فهمه كاتبه يوحنا، الذي يعد أحد تلاميذ المسيح، وإن كان متأخرًا زمنًا، وهذا بخلاف الأناجيل الثلاثة.

وكلام رجال الدين المسيحيين حول طبيعة المسيح جاءت متأخرة في القرن الرابع للميلاد، وذلك في الخلاف الذي نشأ في الإسكندرية بين اثنين من الأساقفة، وهما: أريوس وإثناسيوس، فالأول ذهب إلى أن المسيح هو كلمة الله الأزلية، وبهذا أعطاه صفة الألوهية، أما الثاني فقد قال: إن المسيح كلمة الله المخلوقة.

ولأهمية هذا الموضوع في نظر الإمبراطور قسطنطين، فقد جمع القساوسة في مجمع نيقيا في تركيا، وكان الاختلاف بينهم سائدًا، ويرى الدارسون أن فكرة التثليث في المسيحية (الاب- الابن- الروح القدس) لم تظهر إلا في القرن الثاني الميلادي على يد ترتليان (١٩٠م)، ولم ترد في العهد الجديد، وأنه هو الذي اخترع فكرة (سر) (الثالوث) (الجوهر).

وعلى هذا فإن أول من أورد فكرة ألوهية المسيح هو يوحنا الزيد من بني صيدا في الجليل، الذي كتب إنجيله في آخر القرن الأول الميلادي، وهو عبارة عن واحد وعشرين إصحاحًا.

وجمعت الأناجيل الأربعة، وأضيف إليها إنجيل برنابا مع مجموعة رسائل الرسل، فيكون العهد الجديد مكونًا من ٢٧ سفرًا؛ ولذا يتبين بأن مصادر المسيحية كتبت من رجال مختلفين، وبلغات عدة، وفي أوقات تاريخية مختلفة فيما بينها، ولهذا فغالبية الفكر المسيحي تطور على يد رجال الدين والكنائس ومجامع الدين المسيحي المختلفة؛ ولهذا

فقد تعددت الطوائف المسيحية حسب اعتقاداتها، واختلفت أيضًا كنائسها ومدارسها، وفي سنة ١٠٤٥م انقسمت الكنيسة إلى كاثوليكية ومركزها روما، وكنيسة أرثوذكسية ومركزها القسطنطينية (إسطنبول اليوم)، وذلك تبعًا للانقسام السياسي الذي أنتج الإمبراطورية الرومانية الغربية والإمبراطورية الرومانية الشرقية.

واستتبع ذلك انقسام في العقيدة المتعلقة بطبيعة المسيح، ففي الكاثوليكية: الروح القدس تنبثق من الأب والابن، وفي الأرثوذكسية فإن الروح القدس تنبثق من الأب فقط[١].

رأي الكاثوليكية في طبيعة المسيح

يرى غالبيتهم أن للمسيح طبيعة إلهية اعتمادًا على إنجيل يوحنا، ولكنه صار جسدًا حتى يتمكن من تكليم الناس ومخالطتهم، ولكي يعرفه البشر عن قرب، ولكي ينتقل المسيح من صفة الألوهية بأن يتجسد كبشر، قالوا: إنه ابن الله. بمعنى انسلاخ جزء من الإله؛ لأن يكون ابنًا للخالق، ويكون له جسد ليتحقق منه إيصال الرسائل الإلهية إلى البشر.

والكاثوليكية تعتقد أن روح القدس تنبثق من الأب والابن معًا، وقد أصبحت في روما، وأنشأ كنيستها في الفاتيكان أحد حَواريي المسيح الاثنا عشر، والمدعو بطرس، وعلى رأسها اليوم البابا، الذي يعد عندهم خليفة للمسيح، وإرادته لا تقبل المناقشة[٢].

رأي الكنيسة الأرثوذكسية

ومركزها القسطنطنية، قديمًا انشقت عن الكاثوليكية، وقالت: إن الروح القدس تنبثق من الأب فقط، وانتشر أتباعها في تركيا قديمًا واليونان وأوروبا الشرقية وروسيا، وقد انقسمت الكنيسة الأرثوذكسية إلى عدة كنائس، وهي:

---

(١) د. أسعد السحمراني: ترجمان الأديان، (ص٣٤١)، دار النفائس، بيروت ٢٠١٢م. سهيل بشروئي ومراد مسعودي: تراثنا الروحي، (ص٤٧٨)، دار الساقي، بيروت ٢٠١٢م.

(٢) ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص٣٥٦). تراثنا الروحي، مصدر سابق، (ص٤٧٦).

١. الكنيسة القبطية: أسسها مرقس في القاهرة سنة ٤٥١م، وانتقلت رئاستها إلى الإسكندرية، ولكن بعضًا من الأقباط تحول إلى الكاثوليكية، وبعضهم إلى البروتستانتية.
٢. الكنيسة السريانية: نشأت في تركيا والهند والشام عام ٤٥١م، وانتقل بعض أتباعها إلى الكاثوليكية بسبب المؤثرات الأوروبية[١].
٣. الكنيسة الأرمنية: تأسست عام ٣٠١م، وانتقل بعض أتباعها إلى الكاثوليكية، وقد توزع الأرمن في البلاد الإسلامية كالشام ولبنان ومصر والعراق.

رأي الكنيسة البروتستانتية

وهى منبثقة عن الكاثوليكية بواسطة مارتن لوثر سنة ١٤٨٣م، ثم بواسطة حنا كالفن سنة ١٥٠٩م، ومنهم الكنيسة الإنغليكانية في بريطانيان، وهي لا تؤمن بهيمنة رجال الدين، وقاومت محاكم التفتيش ومسألة بيع الغفران، ونادت بالرجوع للعهد القديم (التوراة)، وتنتشر في شمال أمريكا وأوروبا خاصة في ألمانيا[٢].

فكرة تحمل المسيح ذنوب البشر (الفداء)

يرتبط مقتل المسيح في الفكر المسيحي في الصليب، حيث تم في نظرتهم ربطه إلى صليب وقتله من قبل الحاكم الروماني بيلاطس، وبتحريض من اليهود، ويرون أن المسيح برغم صفته الألوهية، ومقدرته على تلافي الصلب، لكنه قدم نفسه فداءً للبشرية وللمؤمنين خاصة، ليحررهم من ذنوبهم، ويتحملها عنهم طائعًا[٣].

وارتبطت فكرة الفداء في المسيحية في الصليب، وأصبح شعارًا لجميع الفرق المسيحية، وفي اعتقادهم أن تقدم المسيح طائعًا أن يصلب في مقابل طلبه من الإله أن يشفع ويتوب عن ذنوب أتباعه.

(١) ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص٣٥٧)، تراثنا الروحي، مصدر سابق، (ص ٤٨٠).
(٢) ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص ٣٥٨)، تراثنا الروحي، مصدر سابق، (ص ٤٨٠).
(٣) ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص ٣٦٣)، تراثنا الروحي، مصدر سابق، (ص ٤٨٦- ٤٨٧).

وفكرة الشفاعة هذه صاحبة فكرة الفداء، وانتقلت إلى كثير من الفرق الإسلامية، وخاصة فرق الشيعة التي اعتقدت بتقدم الحسين بن علي إلى القتل بالرغم من علمه بأنه وأتباعه قلة، لا يستطيعون الرد، فإنه بفعل ذلك كالمسيح في تقدمه للصلب، وسيأتي ذلك في موضعه، وارتبطت فكرة صلب المسيح بالعشاء الرباني، الذي أكله مع تلاميذه، حيث يعد في المسيحية أحد الأسرار المسمى (الأفخارستيا)، وتطورت إلى صلاة الشكر لله على ما وهب من طعام يستقيم به سر الحياة، وهذه الوليمة تطورت عند طوائف الصوفية بشكل كبير، حيث ترافق الوليمة احتفالاتهم.

أما عند الشيعة فتطورت بأشكال مختلفة، أوضحها وليمة العاشر من محرم (هريسة الحسين)، التي تؤكل بمشاعر مشابهة لمشاعر المسيحيين، حينما يأكلون العشاء الرباني؛ والمسيح يتقدم بشجاعة نحو الصليب، وكذا عند الشيعة يتقدم الحسين إلى الشهادة في سبيل المبدأ، ولتطهير أتباعه من تخاذلهم في نصرة الحق[١].

فكرة الرجعة في المسيحية

تؤمن المسيحية بأن المسيح بعد صلبه ودفنه ارتفع إلى السماء، ورجع إلى تلاميذه، وقال لهم: ها أنا ذا جسوني، وفي إنجيل يوحنا ذكر: أن المسيح كان يعلم أنه سيصلب. وفي إنجيل مرقص: أن المسيح تعشى مع تلاميذه خبزًا ونبيذًا، ثم باركهم وانتقل إلى السماء بعد صلبه[٢].

مسحه المرضى

ورد في العهد الجديد: أن يسوع أوصى تلاميذه بأن يقوم بمسح المرضى بزيت الزيتون لغرض الشفاء، فأضحى المسح على المرضى الذي يقوم به الكهنة ورجال الدين طقسًا كنسيًّا، يلجأ المرضى إلى الكنيسة طالبين من رجل الدين المسيحي: أن يقوم بمسحهم

(١) ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص ٣٦٤)، تراثنا الروحي، المصدرالسابق، (ص٤٨٧).
(٢) ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص٣٧٠)، تراثنا الروحي، مصدر سابق، (ص٤٩٥).

بالزيت، ويكون عادة في كل كنيسة زيت يعد لهذا الغرض، وقد يلجأ حتى المرضى من غير المسيحيين إلى طلب المسح، خاصة من تلك الأمراض التي أعيت الأطباء عن شفائها[١].

وهذا التقليد انتقل إلى طوائف من الصوفية والشيعة يمارسه أيضًا رجال الدين لتلك الطوائف، وقد تفضي هذه الممارسات إلى أفعال غير أخلاقية.

رجال الدين والكهنة في المسيحية

إن المسيح لم يوصف بأنه كاهن، ولا ادعى الكهانة لنفسه، حسب المصادر المسيحية، بل ربما كان ينظر إليه كهنة اليهود بنوع من الازدراء (سبط لاوي)، لكن المسيحية فيما بعد تطورت أفكارها بواسطة رجال الدين، نتيجة كتاباتهم وشروحهم، لما نقل إليهم من نصوص مقدسة، افترقوا فيها طوائف مختلفة، أضحى بعدها لرجل الدين قوة في المجتمع في السياسة، وزادت قوتهم بجمع الأموال بطرق مختلفة، أخصها النسبة التي يدفعها الفرد إلى الكنيسة سنويًّا، وبمرور الزمن أصبح رجال الدين على درجات من حيث العلم الديني والنفوذ الكنسي، حتى استقرت الدرجات من أعلى الهرم البابا- الأسقف- الشماس، وتختلف كل طائفة أو كنيسة في مسمياتها أو عدد درجاتها، والكاهن في المسيحية يعد شخصية مقدسة بصفته خليفة ليسوع وأمينًا على إيصال تعاليم يسوع إلى الناس.

ولرجال الدين في المسيحية سواء داخل الكنيسة أو خارجها وظائف كهنوتية، يقومون بها لرعاية أتباعهم: كزيارة المرضى ومسحهم، وتجهيز الموتى، وإقامة الصلوات، وضرب الناقوس، إلخ من الوظائف المعروفة؛ ولذا ففي بعض المجتمعات تعلق الناس بهؤلاء الكهان، وكونوا حولهم قصصًا ومعجزات أدت إلى القول بقداستهم وعصمتهم، وهذا المفهوم انتقل إلى طوائف من الصوفية والشيعة، فكوَّن أولئك حول رجال دينهم ما تكوَّن في المسيحية حول كهانها، كما سنرى ذلك مفصلاً في موضعه[٢].

---

(١) ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص ٣٧٨)، وما بعدها.

(٢) سهيل بشروئي ومراد مسعودي: تراثنا الروحي من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة، (ص ٤٦٣)، وما بعدها.

الغنوصية في الفكر المسيحي

نتيجة لمناقشة النصوص الواردة في العهد الجديد ظهرت مدرسة في المسيحية تفسر تلك النصوص: إما على غير معناها الظاهري، وإما لإيجاد مفهوم جديد، بسبب أن النص في الأصل مبهم، فمثلاً تأولوا عن المراد في الأصل الوارد في الإنجيل، والذي يذكر أن المسيح قال: «من أجل هذا أوكلهم بأمثال؛ لأنهم مبصرون لا يبصرون، وسامعون لا يسمعون، ولا يفهمون».

واعتبرتهم الكنيسة في بداية ظهورهم طائفة خارجة عن الدين المسيحي، تقول بما لم يقله السيد المسيح، ويبدو أن هذه الطائفة التي ظهرت في القرن الثاني الميلادي نشأت تحت مؤثرات الفلسفة اليونانية[١].

(١) تراثنا الروحي من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة، مصدر سابق، (ص٤٨٠). جغرافية المعتقدات والديانات، مصدر سابق، (ص ٢٦٠). ترجمان الأديان، مصدر سابق، (ص٣٥٠).

openkan.com